مجلة خليج العرب للدراسات الإنسانية والاجتماعية

Arabian Gulf Journal of Humanities and Social Studies

ISSN: 3080-4086

الإصدار الرابع - العدد العاشر || تاريخ الإصدار 2026-01-20

السرّ البلاغي في فنون علم المعاني للأسلوب النحوي في القرآن الكريم
(دراسة تطبيقية في الربع الأخير من القرآن الكريم)

The Rhetorical Secret in The Science of Meanings of The Grammatical Style in The Holy Quran.

(An Applied Study in The Last Quarter of The Holy Quran)

الدكتور حمادة خالد محمد علوان

Dr. Hamada Khaled Mohmmad Olwan

موظف حكومي بوزارة التربية والتعليم العالي - غزة

DOI: https://doi.org/10.64355/agjhss41027

مجلة خليج العرب للدراسات الإنسانية والاجتماعية || هذه المقالة مفتوحة المصدر موزعة بموجب شروط وأحكام ترخيص مؤسسة المشاع الإبداعي(CC BY-NC-SA)

الملخص:
استهل الباحث حديثه في التمهيد عن علم المعاني كمقدمة ثم تطرق إلى الحديث عن الخبر وأغراضه.

ثم انتقل إلى الإنشاء من حيث التعريف اللغوي والاصطلاحي، ثم تحدث عن أنواع الإنشاء حيث تحدث عن الاستفهام وأغراضه البلاغية، وكذلك النهي وأغراضه والنداء وأغراضه.

وتحدث عن موضوع مهم وهو التكرار، وقسمه إلى مجموعة من التقسيمات حسب نوع التكرار الموجود في الآيات، ثم تحدث بعد ذلك عن التقديم والتأخير لما لهذا الموضوع من موقع كبير في القرآن الكريم .

أهداف البحث: توضيح مدى علاقة التراكيب النحوية بموضوعات البلاغة المتعددة من خلال قراءة الناحية البلاغية لكل تركيب نحوي موجود في الآية القرآنية .وربط الجانب البلاغي بالآيات القرآنية لتتضح المقاصد المرجوة من هذه الآيات القرآنية.

- ترسيخ جذور قويّة للبلاغة القرآنية في الدراسات العربية.

الكلمات المفتاحية: علم المعاني، الخبر، الإنشاء، التكرار، التقديم والتأخير.

Abstract:

The researcher began his talk in the preface on the science of meanings as an introduction, then touched on the topic of the news and its objectives.

Then he moved to the composition in terms of linguistic and idiomatic definition, then he talked about the types of creation, where he spoke about the interrogation and its rhetorical purposes as well as the prohibition, its purposes, the appeal and its purposes.

He talked about an important topic, which is repetition and divided it into a group of divisions according to the type of repetition found in the verses. Then he spoke after that about introduction and delay because of this topic of great presence in the Holy Quran.

Research objectives: To clarify the extent of the relationship of grammatical structures to the various topics of rhetoric by reading the rhetorical aspect of each grammatical structure found in the Qur’anic verse, and linking the rhetorical aspect with the Qur’anic verses to clarify the desired objectives of these Qur’anic verses.

Establishing strong roots of Qur’anic rhetoric in Arab studies.

Keywords: Science of Meanings, declarative sentence, performative sentence, repetition, foregrounding and postponement.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أتقن كلّ شيءٍ صنعًا، وفطر النفوس على حبّ الجمال، وزيّن ما خلَقَ بزيناتٍ روائعَ تميلُ إليها النفوس، وتأنَسُ بها وترتاح إليها، وهي تدلُّ على إبداع خالقها وإرادته الحكيمة، في كلّ ما خلق من ظواهر وبواطن.

هو الذي أنزل كتابَهُ القرآن معجزاً، ومن إعجازه ما فيه من جمالٍ بيانيّ وبلاغةٍ رائعة لا ترقى إلى مِثْلها بلاغَةُ جميع البلغاء، ولا فصاحة جميعِ الفصحاء.

والصلاة والسلام على رسُولِنا محمّدٍ خاتم النبيّين والمرسلين، وإمامهم، مَنْ خَصَّه الله بالدّينِ الخاتم، وهو أبلغ العرب وأفصح من نطق بالضاد. أما بعد...

فقد ركز الباحثان على باب المعاني، لما لهذا الفن من وجود كبير في القرآن الكريم.

أسباب اختيار الموضوع:

- أن هذا الموضوع من الموضوعات البديعية المهمة التي تبرز مدى البلاغة والبديع القرآني، مما جعلني أفكر مليًّا في اختياره كعنوان لهذا البحث.

- إغناء المكتبة العربية بدراسات بلاغية تطبيقية على الآيات القرآنية.

- مساعدة طلاب العلم على فهم الدرس البلاغيّ في القرآن الكريم؛ لأنَّ دراسة بلاغة القرآن الكريم بهذه الطريقة فيها إفادة كبيرة، ولفت كبير لأنظار الباحثين لينحوا هذا المنحى.

- الكشف عما يميز الأساليب البلاغية القرآنية عن غيرها، وذلك عن طريق مقارنتها بالأسلوب البلاغيّ ذاته، ولكن مع تغييرٍ في تركيبه النحوي، وفي هذا تأكيد على أهمية الدرس البلاغي.

الجهود والدراسات السابقة:

بعد الدراسة والبحث حصلت على مجموعة من الدراسات السابقة ذات الصلة وأبرزها ما يلي:

1- دلالات التراكيب : للدكتور محمد محمد أبو موسى، وهو كتاب جليل القدر، تناول الباحثان فيه بعض مسائل علم المعاني من ناحية تراكيبها النحوية في آيات متفرقة من القرآن الكريم، وبيَّن دلالاتها البلاغية ومعانيها الثواني، وهو كتاب مُكَمِّلٌ لدراسته الأولى التي طبعتها جامعة بني غازي والتي سماها بخصائص التراكيب.

2- بناء المعاني وعلاقاتها في سورة الأعراف، عواطف حمزة خياط، إشراف: أ. د. محمد محمد أبو موسى، (رسالة دكتوراة)،1424ه، جامعة أم القرى، السعودية.

3- الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، محمد حسين سلامة، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، 1423هـ ـــ 2002م، القاهرة، مصر.

4- أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين دراسة نحوية بلاغية تداولية. ناغش عيدة، الجزائر: جامعة مولود معمري. 2012

منهج البحث :تم في هذه الخطة على المنهج الوصفي التحليليّ، حيث تناول موضوع البحث دراسة: السرّ البلاغي في فنون علم المعاني للأسلوب النحوي في القرآن الكريم، دراسة تطبيقية في الربع الأخير من القرآن الكريم.

آليّة الدّراسة:

أما عن آليّة الدّراسة، فهي تتمثل في استقراء التراكيب والجمل في الآيات القرآنية ذات الصلة، ورصدها ومن ثم تصنيفها حسب النوع ومناقشتها وتطبيقها وربط الأساليب النحوية بالموضوعات البلاغية .

التمهيد

أجمع البلاغيون على أن علم المعاني هو الأصل ويُبنى عليه الفرعين الأخريين من فروع البلاغة المشهورة وهما: علما البيان والبديع، ويمكن تعليل ذلك أن علم المعاني يتحدث عن التراكيب والجمل، ومنها تنبثق فنون الألوان البيانية والبديعية متماشية مع الواقع والحقيقة، حيث إن عنصري الخيال والمجاز قد احتلا مركز الصدارة.

وقد اتفق البلاغيون - كما ورد في كتبهم وتراثهم- أن الكلام ينقسم إلى خبر وإنشاء، وأن الإنشاء نوعان: (طلبي وغير طلبي)، كما أن هذه التقسيمات تمنح اللسان العربي المزايا والحلية اللفظية والمعنوية، وقد أخذ الجمال البلاغي حيّزا كبيرا وبالتالي، أصبحت العَلاقة بين التراكيب النحوية ومعانيها الثانية الخفية – وهنا القصد موجه نحو الفنون البلاغية – واضحة فيما بينها.

المبحث الأول: السرّ البلاغي في فنون علم المعاني في القرآن الكريم.

المطلب الأول: السر البلاغي للخبر والإنشاء في القرآن الكريم.

الخبر وأغراضه البلاغية

أولًا- التعريف لغة واصطلاحًا:-

- **المفهوم الاصطلاحي:**

الخَبَرُ: هُوَ الأَمْرُ المُتَحَدَّثُ بِهِ عَنْ هَذَا الاسْمِ. [1] وقيل:" الخبر هو: التابع المحدث به عن الاسم، المحكوم عليه على سبيل الإسناد[2]، وقد عرف مؤخرا بأنه:" كل كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته. [3]

وقد يقع الأسلوب الخبري في موقع الأسلوب الإنشائي؛ وذلك لأغراض بلاغية يقصد إليها البليغ؛ أهمها: التفاؤل وإظهار الحرص والرغبة في وقوع المعنى الإنشائي وتحقيقه ويكون ذلك في الدعاء بأن يقصد المتكلم طلب الشيء، وتكون صيغة الأمر هي الدالة عليه أو طلب الكف، وتكون صيغة النهي هي الدالة عليه، فيعدل عنهما إلى صيغة الإخبار بالماضي الدالة على تحقق الوقوع، وفيه إشعار بأن الدعاء للمخاطب قد حصل وتحقق[4] .

ثانيًا- الشواهد البلاغية والقيم الجمالية لهذا الفن البلاغي.

كقوله - جلَّ وعلا: (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُون) [يس:7]

فجاء الخبر عبْر جملة توكيدية بُدئت بـ(لقد)، وبالتالي فضرْب الخبر هنا هو طلبي؛ لأنه اكتفى بتوكيد واحد.

ومن ناحية نحوية فلا يُرى في الجملة سوى خبرٍ بعيدٍ عن الدلالات والإيحاءات، التي تحملها هذه الجملة الخبرية، أما من الناحية البلاغية فنرى فيها التحذير والتنذير. كما قال **ابن عاشور**:" هذا تفصيل لحال القوم الذين أرسل محمد ρ لينذرهم، فهم قسمان: قسم لم تنفع فيه النذارة، وقسم اتبعوا خافوا الله فانتفعوا بالنذارة. وبين أن أكثر القوم حقت عليهم كلمة العذاب، أي علم الله أنهم لا يؤمنون بما جُبل عليه عقولهم من النفور عن الخير، فالفاء لتفريع انتفاء إيمان أكثرهم على القول الذي حق على أكثرهم"[5] .

وكقوله - جلَّ وعلا: (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلًا فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُون) [يس:8]

فالخبر هنا في بداية الآية في قوله (إنا جعلنا)، والخبر من الضرب الطلبي، ولعل اللافت هنا أن حرف التوكيد (إنا) جاء للتعظيم، وليس مجرد جملة نحوية خبرية دون روح البلاغة فيها؛ بل جاء للتعظيم والتأكيد على ما يليها من تخويف، وذلك في كلمة (في أعناقهم أغلالا). فكانت الإشارة بـ(إنا) التي تفيد التعظيم مناسبة لهذا الآية، ولعل **الزمخشري** قال في كشافه عن تفسير هذه الآية:" مثل تصميمهم على الكفر، وأنه لا سبيل إلى ارعوائهم بأن جعلهم كالمغلولين. في أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه[6].

([1])حازم خنفر، البرعومة في النحو - سِلْسِلَةُ مُتُونِ الكُتُبِ وَمُخْتَصَرَاتِهَا، ص8.
([2])أبو حيان محمد بن حيان، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق وشرح: رجب عثمان محمد، 1085/3.
([3])أ. د. محمدعلوان، أ. د. نعمان علوان، من بلاغة القرآن الكريم –المعاني البيان البديع، ص32.
([4])مناهج جامعة المدينة العالمية، البلاغة (المعاني)، جامعة المدينة العالمية، ص397.
([5])ابن عاشور، التحرير والتنوير، 198/22،197.
([6]) الزمخشري، الكشاف، 421/5.

وكقوله - جلَّ وعلا: (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُون) [يس:63]

في قوله:"(هَذِهِ جَهَنَّمُ) مبتدأ وخبر والجملة استئنافية لا محل لها"(7) وهذا من الناحية النحوية، أما عن الأسرار البلاغية، فقد لوحظ أن الخبر هنا جاء كـ(ويل) للكافرين وعذاب للمجرمين، وهلاك للمشركين، ولم يقل القرآن الكريم: (جهنم التي) –فقط- أو هذه التي...) بل أوغلت في المعنى مخلفة وراءها نوع من الخوف والرعب.

وكقوله - جلَّ وعلا: (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون) [يس:65].

فالخبر في قوله (اليوم نختم)، ولعل الناظر إلى هذا الآية يرى فيها تقديما وتأخيرا، وأصلها نختم اليوم، فجاء التقديم لتأكيد هذا الخبر، ولعل البصير يفقه علة أن جاءت نون العظمة في الكلمة، وذلك تأكيد على قدرة الله -تعالى- من ناحية، ومن ناحية أخرى فهي لتأكيد مدى الخطورة اللصيقة بمن تختم على فيهِ وعند نطق يده، وعند شهادة رجله، بما كسب من صغيرة أو كبيرة.

وكقوله - جلَّ وعلا: (إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِد) [الصافات:4]

فالخبر هنا إشارة إلى التأكيد إلى وحدانية الله -تعالى، والعبودية المطلقة له -سبحانه وتعالى- ويقول **سيد قطب**:" تتناول السورة جوانب العقيدة الأخرى التي تتناولها السور المكية. فتثبت فكرة التوحيد مستدلة بالكون المشهود:" إِنَّ إِلهَكُمْ لَواحِدٌ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَرَبُّ الْمَشارِقِ". وتنص على أن الشرك هو السبب في عذاب المعذبين في ثنايا مشهد من مشاهد القيامة(8).

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِين) [الصافات:72]

فالخبر هنا في قوله: (ولقد أرسلنا) ، فجاءت (اللام) التوكيدية و(قد) التحقيقية، للتأكيد على أن الله -جل وعلا- أرسل لكل قوم رسولا يبشر وينذر، وعليه فلا شكاوى ولا فتاوى ولا أعذار لأي عاقل على وجه الأرض، وعليه؛ فلم يعد الخبر مجردا من الدلالة البلاغية والمتمثلة في التنبيه والتأكيد. كما أنها تحمل نوع من القسم حيث يقول **أبو السعود**:"(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنذِرِينَ) أي: أنبياء أولي عددٍ كثيرٍ وذوي شأنٍ خطيرٍ بيَّنوا لهم بُطلانَ ما هم عليه وأنذرُوهم عاقبته الوَخِيمَةِ وتكريرُ القَسَمِ لإبرازِ كمالِ الاعتناءِ بتحقيقِ مضمون كلَ من الجملتين". (9)

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيم) [الصافات:107]

فالخبر هنا بهذا التأكيد الرباني بقوله:(وفديناه)، يدل على تأكيد رحمة الله –تعالى- لنبيه إبراهيم –عليه السلام- ولابنه إسماعيل –عليه السلام، بل هي رحمة ربانية إلى البشرية، ومن الجميل ذكره ما قاله **الرازي** في مفاتيح الغيب:" وذلك يدل على أنه -تعالى- إنما أمره في المنام بمقدمات الذبح لا بنفس الذبح، وتلك المقدمات عبارة عن إضجاعه ووضع السكين على حلقه، والعزم الصحيح على الإتيان بذلك الفعل إن ورد الأمر الثاني.(10)

وكقوله - جلَّ وعلا: (إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُون) [غافر:59]

جاء الخبر بتأكيدين اثنين في قوله تعالى: (إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ) ، فالتأكيد الأول (إن) والتأكيد الثاني في قوله: (لآتية) وعليه؛ فإن هذا توكيد من الضرب الإنكاري، فكيف لا والآية تتحدث عن يوم الساعة التي زعم كثير من الإنس أنه لا يوجد يوم القيامة، بل كثير منهم لا يؤمنون به، لذا جاءت الآية بنوع من المنطق، فالآية تناسبها بعض التأكيدات المتواليات حتى يقتنع هؤلاء الناس الذي وظفوا أفكارهم الضيقة وترهاتهم التي ما أنزل الله بها من سلطان.

---

(7)قاسم حميدان دعاس، إعراب القرآن الكريم، 97/3.
(8) سيد قطب، في ظلال القرآن، 583/8.
(9)أبو السعود، تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، 195/7.
(10)فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب،348/26.

وكقوله - جلَّ وعلا: (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) [الزخرف:67]

هذه الآية لافتة للانتباه، حيث إن الخبر جاء في مستهل الآية (الأخلاء...) ، ولعل هذا يؤكد وينبه من عداوة الأخلاء بعضهم ببعض، لذا قال **أبو السعود** في تفسيره :" (الأخلاء) المتحابُّون في الدُّنيا على الإطلاقِ أو في الأمورِ الدُّنيويةِ (يَوْمَئِذٍ) يومَ إذْ تأتيهُم الساعةُ (بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) ، لانقطاعِ ما بينهم عن علائقِ الخلة والتحاب لهور كونِها أسبابًا للعذابِ (إلاَّ المتقين) ، فإنَّ خُلَّتَهم في الدُّنيا لمَّا كانتْ في الله تبقَى على حالِها بل تزدادُ بمشاهدةِ كلَ منهُم آثارَ خُلَّتِهم من الثوابِ ورفعِ الدَّرجاتِ[11].

وكقوله - جلَّ وعلا: (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ) [الدخان:43]

هي جملة خبرية تتألف من حرف توكيد ونصب، واسمها وخبرها، وهذا من الناحية النحوية؛ لكن الأسرار وراء هذه الجملة، ووراء هذا التوكيد هو الرعب والخوف، والقلق، ويقول **سيد قطب** في تفسيره:" ويبدأ المشهد بعرض لشجرة الزقوم، بعد تقرير أنها طعام الأثيم. عرض مفزع مرعب مخيف. إن هذا الطعام مثل دردي الزيت المغلي- وهو المهل- يغلي في البطون كغلي الحميم. وهناك هذا الأثيم" [12]

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) [الجاثية:7]

جاء الخبر كجملة فعلية بَدأت بمبتدأ في كلمة (ويل) ، و(لكل) خبرها، لكن المعلوم يقينا أن (ويل) واد في جهنم، فهو للمطففين والمكذبين وعن صلاتهم ساهون، ولكل أفاك أثيم. فلم تأت الجملة القرآنية هنا مجرد خبر؛ بل لحقتها نوع من الزجر والرعب، ويقول **فخر الدين الرازي**:" الأفاك الكذب، والأثيم المبالغ في اقتراف الآثام، واعلم أن هذا الأثيم له مقامان:

المقام الأول : أن يبقى مصرا على الإنكار والاستكبار.

المقام الثاني : أن ينتقل من مقام الإصرار والاستكبار إلى مقام الاستهزاء.

فمن الواضح أن (الأفاك) –وهي لفظة وصيغة مبالغة، وكذلك كلمة أثيم على وزن فعيل وهي صيغة مبالغة –أيضًا- تدلل على ظلم هذه الثلة المجرمة؛ لذا كان الويل لهم. [13]

وكقوله - جلَّ وعلا: (تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى) [النجم:22]

فالخبر في هذه الآية جليّ وبيّن في كلمة (تلك إذا قسمة ضيزى) أي قسمة وتقدير سيء ظالم، وفيه من الإهانة والتحقير، وقمة الإذلال ومبالغة في الذل لهم، وكما قال **ابن عاشور**:"

فهذا مبالغة في تشنيع قولهم، فليس المراد أنهم لو نسبوا لله البنين لكان قولهم مقبولة؛ لأنهم لم يقولوا ذلك فلا طائل تحت إبطاله[14]

وكقوله - جلَّ وعلا: (إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً) [الواقعة:35]

فالخبر في الآية جاء مؤكدا بـ(إنا) التي تحمل معنى التأكيد والعظمة لله العظيم؛ بل جاء التأكيد بالتكرار النحوي والبلاغي معًا، فالنحوي في أن إعراب الثانية(إنشاءً) مفعول مطلق، ومن زاوية بلاغية، ففيها الجناس الاشتقاقي والتأكيد على القدرة الربانية.

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ) [المطففين:1]

---

(11)أبو السعود، تفسير أبي السعود، 54/8.
(12)سيد قطب، في ظلال القرآن، 3217/5.
(13)فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، 672/27.
(14)ابن عاشور، التحرير والتنوير، 84/27.

جاء الخبر مستهلا بكلمة (ويل)، وقد امتلأت هذه الكلمة بمن ظلم نفسه من المطففين الذي يطففون في ميزانهم وأعمالهم وفي دنياهم، فالتطفيف في الميزان والتطفيف مع العباد ومع النفس ومع الله -تعالى، وذلك بالتقصير، وفعل الذنب والمنكرات، لذا قال **سيد قطب** :" تبدأ السورة بالحرب يعلنها الله على المطففين: (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ». والويل: الهلاك. وسواء كان المراد هو تقرير أن هذا أمر مقضي، أو أن هذا دعاء. فهو في الحالين واحد فالدعاء من الله قرار". [15]

ويضيف **فخر الدين الرازي**:" والمراد الزجر عن التطفيف، وهو البخس في المكيال والميزان بالشيء القليل على سبيل الخفية، وذلك لأن الكثير يظهر فيمنع منه، وذلك القليل إن ظهر –أيضًا- منع منه، فعلمنا أن التطفيف هو البخس في المكيال والميزان بالشيء القليل على سبيل الخفية، ثم يعلق : الويل، كلمة تذكر عند وقوع البلاء، يقال: ويل لك، وويل عليك". [16]

وكقوله - جلَّ وعلا: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوص) [الصف:4]

جاء الخبر في الآية بنوع من التأكيد في قوله (إن الله يحب. . .).

ومن الجدير بالذكر أن الله –تعالى- استخدم في الحب كلمة يحب واستخدم في البغض والكره نفي الحب أي (لا يحب) ، وهذا من الأدب القرآني الرفيع ومن الرحمة الربانية؛ لأن الله -تعالى- إذا غضب من فلان، فهي الطامة الكبرى لهذا الظالم، وهي الكارثة العظمى لهذا المنبوذ، وهذا الظالم الذي ظلم نفسه وأهله وغيره. والخبر في الآية يحمل نوعا من الحث والإرشاد والتشويق لمن يقاتل في سبيل الله صفا.

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم) [القلم:4]

جاء الخبر في الجملة التوكيدية (وإنك لعلى خلق)، فهي خبر مؤكدة بتأكيدين؛ ليكون لدينا ضرب من الخبر الإنكاري، وإن شئت فقل: بثلاث مؤكدات، حين قال مادحًا نبيه -صلى الله عليه وسلم:" عظيم" وهي صيفة مبالغة على وزن فعيل.

ومن هنا تبين أن الآية بَدأت بتوكيد، وتوسطت بتوكيد في قوله (لعلى) ، وختمت بتوكيد، ليؤكد مدى حب الله لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي التصق اسمه باسم الله –تعالى- في الشهادتين وفي القرآن الكريم.

وكقوله - جلَّ وعلا: (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا) [النبأ:17]

فقد جاء الخبر في الآية بتوكيد بالحرف (إن) للتأكيد على أن يوم القيامة سيكون محددا وآت لا ريب في ذلك؛ بل جاء الخبر بالصيغة وبالزمن الماضي للتأكيد على أنه آت لا محال، وهو يوم سيفصل الله وسيقضي ويجزي، والجزاء من جنس العمل. لذا قال **فخر الدين الرزاي**:" والمعنى أن هذا اليوم كان في تقدير الله، وحكمه حدا تؤقت به الدنيا، أو حدا للخلائق ينتهون إليه." [17]

وكقوله - جلَّ وعلا: (إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً) [الإنسان:29]

يبدو للباحث أن جلَّ الأخبار في القرآن الكريم تأتي بنوع من التأكيد والتوكيد، كيف لا وقد كثر الناس الذين يعاندون أنفسهم قبل أن يعاندون ربهم، فهؤلاء يحتاجون إلى عناية مركزة ومكثفة من المتابعة والتذكير والحث والتوكيد ولفت الانتباه بما جاء به الإسلام.

---

(15)سيد قطب، في ظلال القرآن، 3855/6.
(16)فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، 82/31
(17)المصدر السابق، 12/31.

ويقول **فخر الدين الرازي:**" أَيْ هَذِهِ الْآيَاتُ تَذْكِرَاتٌ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى أَنْوَاعِ الْهِدَايَةِ وَالْإِرْشَادِ فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا" [18]؛ بل قال في موضع آخر:" وَالْمَعْنَى: أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ بِمَا فِيهَا مِنَ التَّرْتِيبِ الْعَجِيبِ وَالنَّسَقِ الْبَعِيدِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، تَذْكِرَةٌ لِلْمُتَأَمِّلِينَ، فَمَنْ شَاءَ الْخِيرَةَ لِنَفْسِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا." . [19]

المطلب الثاني: السرّ البلاغي في الأسلوب الإنشائي في القرآن الكريم.

الإنشاء **لُغَةً**: الإيجاد والإحداث

الإنشاء اصطلاحاً: ذلك الكلام الذي لا يحتمل صدقًا ولا كذباً، وهو ما لا يجعل

مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به. [20].

الانشاء الطلبي وهو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب وه خمسة أنواع الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء. [21].

الإنشاء غير الطلبي:" وهو ما لا يستدعي مطلوبا، وله أساليب متلفة منها. صيغ المدح والذم، والتعجب والقسم والرجاء. [22].

أولا: الأمر وأغراضه البلاغية.

لا شكّ أنَّ الأمر الحقيقيَّ والواقعيَّ يصدر من الجهة العليا نحو جهة دنيا؛ بُغْيَة الالتزام والقبول، كما أن الأمر -كنظائره من الأساليب الإنشائية- يخرج من نطاق الواقع إلى نطاق المجاز.

أولا: المفهوم الاصطلاحي:

هو ما دلّ على وقوع حدث ما في الزمن المستقبل. وسمّي أمرا؛ لأن المتكلم يتوجه إلى المخاطب آمرا إياه أن يقوم بعمل ما لم يقم به بعد[23].

وقيل: هو" كلمة دلت على الطلب بذاتها". أي بانضمام غيرها إليها. فخرج: ما لا دلالة له عليه أصلا. كالمضارع، وفعل التعجب. وما دل عليه بواسطة. نحو: لا تضرب. فإن دلالته عليه بواسطة حرف النَّهي الذي هو طلب الترك، ولابد (مع) ذلك من (قبول) ها (ياء المخاطبة)، أي ياء الفاعلة - وهي اسم مضمر عند سيبويه والجمهور[24].

وقد عرفه البلاغيون بقولهم:" هو طلبُ حصولِ الفعل من المخاطَبِ على سبيلِ الاستعلاءِ[1]، وقد تخرجُ صيغةُ الأمرِ عن معناها الأصليّ المتقدمِ - فيرادُ منها أحدُ المعاني الآتيةِ بالقرينةِ، لكنَّ الظاهر أنها مستعملةٌ في معناها الحقيقيّ، وإنما تختلفُ الدواعي :

1 - **الدُّعاءُ**، نحوقوله_تعالى:**(قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ) النمل:19**

2- - **التهديدُ**، نحو قوله تعالى: **(اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير) فصلت:41،40**

3-- **التسويةُ**، نحو قوله تعالى: **(اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لاَ تَصْبِرُوا سَوَاء عَلَيْكُمْ) الطور:16**

ثانيًا- الشواهد البلاغية والقيم الجمالية لهذا الفن البلاغي.

كقوله - جلَّ وعلا: (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُون) [الزمر:54]

حيث استخدم الإنشاء الطلبي ونوعه فعل أمر، وذلك في قوله –تعالى- (وَأَنِيبُوا)، وقد ترك غرضا بلاغيا، وهو النصح والإرشاد، حيث يأمر الله -تعالى- عباده المؤمنين من التضرع والوجه إلى الله –سبحانه- وتعالى قبل فوات الأوان، وقبل أن يموت الإنسان وحينها لا ينفع الندم.

(18) المصدر السابق، 693/30.

(19)فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، 761/30.

(20)ينظرأ. د يوسف أبوالعدوس، مداخل إلى البلاغة العربية، علم المعاني – علم البيان – علم البديع، ص ٥٣

(21)أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، ص 70 – 72.

(22)المصدر السابق.

(23)د. نديم حسين دعكور، القواعد التطبيقية في اللُّغة العربية، ، ص138.

(24)عبد الله الفاكهي النحوي، شرح كتاب الحدود في النحو، تحقيق: د. المتولي رمضان الدميري، ص110.

وكقوله - جلَّ وعلا: (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ) [غافر:55].

فالشاهد في قوله (فاصبر) ، والأمر هنا من باب الطمأنة للنبي -صلى الله عليه وسلم- لذا يفسر **الزمخشري** الآية في كشافه قائلا:" (فاصبر) على عداوتهم (إِنَّ وَعْدَ الله) بنصرتك وإظهار دينك على الدين كله (حَقٌّ) لا بد من إنجازه والوفاء به، ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعًا مما يقولون ويفعلون فإنهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك"(25)

وكقوله - جلَّ وعلا: (ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) [الدخان:49]

فالأمر هنا في قوله (ذق)، وهذا الأمر جاء من باب التحقير والإذلال، وكأنه –تعالى- يذمّ هذا الذي ادعى أنه العزيز الكريم وهو أبو جهل، ويقول **أبو السعود:**" أي وقولوا ذلك استهزاء به وتقريع له على ما كانَ يزعمُه، رُوِيَ أنَّ أَبا جهلٍ قال لرسول الله-صلى الله عليه وسلم- ما بينَ جبليَها أعزُّ ولا أكرمُ منِّي فوالله ما تستطيعُ أنتَ ولا ربك أن تفعلا بي شيئا(26)

وكقوله - جلَّ وعلا: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاَغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) [الأحقاف:35]

حيث استخدم الإنشاء الطلبي ونوعه فعل أمر، وذلك في قوله –تعالى- (فَاصْبِرْ)، وقد ترك غرضًا بلاغيًا وهو الحث والإرشاد. وقيل عن أولي العزم الذين صبروا:" هم نوح، صبر على أذى قومه، وإبراهيم على النار وذبح ولده، وإسحاق على الذبح، ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره، ويوسف على الجب والسجن، وأيوب على الضرّ، وموسى قال له قومه: إنا لمدركون، وداود بكى على خطيئته أربعين سنة، وعيسى لم يضع لبنة على لبنة، وقال-تعالى في آدم:" وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً" وفي يونس: وَلا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ. (27)

وكقوله - جلَّ وعلا: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ) [محمد:19]

حيث استخدم الإنشاء الطلبي ونوعه فعل أمر، وذلك في قوله –تعالى- (فاعلم -واستغفر)، وقد ترك غرضا بلاغيا وهو الحث والتنبيه. ويقول **ابن عاشور** في حق هذه الآية:" أمر الله رسوله-صلى الله عليه وسلم- بالثبات على ما له من العلم بوحدانية الله وعلى ما هو دأبه من التواضع لله بالاستغفار لذنبه ومن الحرص على نجاة المؤمنين بالاستغفار لهم لأن في ذلك العلم وذلك الدأب استمطار الخيرات له ولأمته(28)

وكقوله - جلَّ وعلا: (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ) [الشورى:47]

فالأمر في قوله تعالى: (استجيبوا) للتنبيه والتوكيد، لذا قال **ابن عاشور:**" والاستجابة: إجابة الداعي، والسين والتاء للتوكيد. وأطلقت الاستجابة على امتثال ما يطالبهم به النبي-صلى الله عليه وسلم- تبليغا عن الله –تعالى- على طريقة المجاز؛ لأن استجابة النداء تستلزم الامتثال للمنادي، فقد كثر إطلاقها على إجابة المستنجد"(29)

والمعنى في الآية كما يرى **ابن عاشور**" أطيعوا ربكم وامتثلوا أمره من قبل أن يأتي يوم العذاب وهو يوم القيامة، واللام في (لربكم) لتأكيد تعدية الفعل إلى المفعول مثل: حمدت له وشكرت له. وتسمى لام التبليغ ولام التبيين. وأصله استجابة"(30)

وكقوله - جلَّ وعلا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [الحشر:18]

(25)الزمخشري، الكشاف، 271/5.
(26)أبو السعود، تفسير أبي السعود، 65/8.
(27)الزمخشري، الكشاف، 313/4.
(28)ابن عاشور، التحرير والتنوير، 88/26.
(29) المصدر السابق، 187/25.
(30) المصدر نفسه.

فالشاهد في كلمة (اتقوا)، للتنبيه والتأكيد، ويعلق **الزمخشري** في كشافه قائلا:" "كرر الأمر بالتقوى تأكيدا: واتقوا الله في أداء الواجبات؛ لأنه قرن بما هو عمل، واتقوا الله في ترك المعاصي؛ لأنه قرن بما يجرى مجرى الوعيد".[31]

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينِ) [التغابن:12]

حيث استخدم الإنشاء الطلبي ونوعه فعل أمر وذلك في قوله –تعالى- (أطيعوا)، وقد ترك غرضا بلاغيا وهو النصح والتنبيه. ولعل لكمة (أطيعوا) كررت مرتين، للتأكيد على أهمية التقوى التي محلها القلب، ولا قبول لعمل دون تقوى وإخلاص، لذا كان التقوى من الأهمية بمكان، كما أن طاعة الرسول من طاعة الله تعالى، لذا تعين على كل مسلم أن يتقي الله ويعمل بما جاء به رسول الله ويأمر بما أمر وينهى بما نهى عنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم.

وكقوله - جلَّ وعلا: (يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرِ) [التحريم:9]

استخدم الإنشاء الطلبي ونوعه فعل أمر وذلك في قوله –تعالى- (جاهد - اغلظ)، وقد ترك غرضا بلاغيا وهو التشويق في الأولى، والحث والتنبيه في الثانية. وبالتالي؛ فإن القرآن الكريم يدفع المسلم إلى ساحات الوغى والقتال، الذي من استشهد على أرضها مات شهيدا، وحصل على الخصال الست، لذا كان هذا الأمر التشويقي والدافعي.

وكقوله - جلَّ وعلا: (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) [الحاقة:52].

فالأمر في قوله (فسبح) ، والأمر هنا للحث والإرشاد ويقول **الزمخشري** في تفسيره:" فقل سبحان الله: حامدا له، أي: فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال أحد من أن يغلب أحد على أهل الحرم، واحمده على صنعه. أو: فاذكره مسبحًا حامدًا، زيادة في عبادته والثناء عليه، لزيادة إنعامه عليك.

وكقوله - جلَّ وعلا: (كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ) [المرسلات:46]

حيث استخدم الإنشاء الطلبي ونوعه فعل أمر، وذلك في قوله –تعالى- (كلوا - تمتعوا)، وقد ترك غرضا بلاغيا وهو التحقير. فهذا إذلال لهؤلاء المجرمين الذي يأكلون ويتمتعون كالبهائم أو أضل سبيلا. وفي نوع من الاستهزاء والعقاب النفسي لهم.

وكقوله - جلَّ وعلا: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) [العلق:1]

حيث استخدم الإنشاء الطلبي ونوعه فعل أمر، وذلك في قوله –تعالى- (اقرأ)، وقد ترك غرضا بلاغيا، وهو النصح والإرشاد، وهي دعوة ربانية إلى أمة النبي-صلى الله عليه وسلم- بالقراءة التي من خلالها يتعرف المسلم على ربه بشكل صحيح و لن يضل كما ضل الضالون، وسيقبلون على الله لا على حرف، وإنما بالشكل الذي أراده الله -تعالى. .

وكقوله - جلَّ وعلا: (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) [النصر:3]

فالأمر هنا في كلمة (فسبح - استغفره) ، وجاء من باب التنبيه والتكليف. ويقول **أبو السعود** في تفسيره:" فافزَع إلى الله -تعالى- فيما نابك من ضيق الصدرِ والحرَج بالتسبيح والتقديس ملتبسًا بحمده وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره -صلى الله عليه وسلم-مالا يخفى من إظهار اللطفِ به -صلى الله عليه وسلم-والإشعارِ بعلة الحُكم أعني الأمرَ بالتسبيح والحمد[32]

المطلب الثالث: السر البلاغي لأسلوب الاستفهام في القرآن الكريم.

أولًا- التعريف لُغةً واصطلاحًا:-

- **في اللغة**

[31]الزمخشري، الكشاف، 508/4.
[32]أبو السعود، تفسير أبي السعود، 93/5.

الاستفهام **لُغةً** هو (طلب الفهم)، جاء في لسان العرب" استفهمه، سأله ان يفهمه. وقد استفهمني الشيء فافهمته وفهمته تفهيما"[33]، وقيل:" تصور المعنى في لفظ المخاطب"[34] . قال الراغب في المفردات" الاستفهام ان يطلب من غيره ان يفهمه"[35] .

- **المفهوم الاصطلاحي:**

عرفه **القزويني** بأنه:" طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل بأداة مخصوصة". وقال البلاغيون العرب في الدراسات الأدبية: إن أدوات الاستفهام لا تتوقف عند المعاني الأصلية التي ينتهي إليها أسلوب الاستفهام الحقيقي الذي يتطلب إجابة محددة. ولكن الاستفهام قد لا يبحث عن إجابة محددة؛ وإنما يبحث عن تصور ما للمتكلم دون أن يستفسر عن شيء؛ وبهذا يخرج أسلوب الاستفهام إلى أسلوب مجازي لا يطابق في دلالته المجازية الدلالة الحقيقية فيصبح بمعنى الخبر، لا بمعنى الإنشاء[36]

ثانيًا- الشواهد البلاغية والقيم الجمالية لهذا الفن البلاغي.

قال - جلَّ وعلا: (أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلاَ يُنقِذُون) [يس:23]

أسلوب إنشائي ونوعه استفهام في (أأتخذ) ، فالهمزة الأولى هنا استفهامية، وتدلل على البيان والوضوح، فلم يأت الاستفهام عابرا دون غرض بلاغي، وبالتالي في هذا الاستفهام معنى النفي أيضًا، لذا يقول **فخر الدين الرازي:** :" وفي الآية –أيضًا- لطائف الأولى: ذكره على طريق الاستفهام فيه معنى وضوح الأمر، وذلك أن من أخبر عن شيء فقال مثلا: لا أتخذ يصح من السامع أن يقول له لم لا تتخذ فيسأله عن السبب، فإذا قال: أأتخذ يكون كلامه أنه مستغنٍ عن بيان السبب الذي يطالب به عند الإخبار"[37]

وقال **فخر الدين الرازي** في موضع آخر: " ثم قال تعالى: أأتخذ من دونه آلهة ليتم التوحيد، فإن التوحيد بين التعطيل والإشراك. وقال: **أأتخذ** من دونه إشارة إلى نفي غيره فيتحقق معنى لا إله إلا الله". [38].

وكقوله - جلَّ وعلا: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِين) [يس:60]

إنشاء استفهامي في قوله:" ألم أعهد"، ولعل الغرض البلاغي الذي خلفه هذا الاستفهام هو التقرير من ناحية، ومن ناحية أخرى التعجب والدهشة، فالتقرير لأولي الألباب الذين إذا وظفوا فكرهم وأحلامهم قالوا: بلى، أنت خالقنا وأنت على كل شيء قدير، أما الغرض البلاغي الماثل في **التعجب والدهشة**، فهو إنكار تلك الفئة الضالة بعنادها وإعراضها رغم معرفتهم السابقة بأن الله خالق كل شيء، وهو الذي يستحق العبادة، لذا يقول **ابن عاشور:**" بذلك العهد قد أودع الله في فطرة العقول السليمة دلائل الوحدانية لمن تأمل وأسلم للدليل، ولكن المشركين أعرضوا وكابروا ذلك العهد القائم في الفطرة، فلا جرم أن كان الإشراك إبطالا للعهد ونقضا له"[39]

وكقوله - جلَّ وعلا: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُون) [يس:71]

فالاستفهام في قوله (أولم يروا. . .)، فهذا الاستفهام ليس استفهامًا نحويًّا عابرًا لا قيمة بلاغية مرجوة من ورائه، فالقرآن الكريم استفهم واستفسر بأسئلة دالةٍ على معانٍ بلاغيةٍ راقية، فتارة يخرج الغرض إلى معنى الاستنكار، وتارة أخرى إلى معنى التعجب، ولعل هذا الآية تعطي معنى

---

[33]ابن منظور، لسان العرب، (فهم) 459/2.
[34]علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري،. 93.
[35]الراغب الاصفهاني، المفردات، ص 386.
[36]بهاء الدين السُبْكي عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح –وهو القسم الثالث.
[37]فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب،265/26.
[38]المصدر نفسه.
[39]ابن عاشور، التحرير والتنوير،172/13.

التقرير، لأن الإنسان الحكيم يستحضر -دومًا- قدرة الله -تعالى- في خلقه وخلائقه من إنس وجن وحيوانات وغيرها، والتي صنعها بيده. ومعنى الآية كما يرى **الرازي** :" أي من جملة ما عملت أيدينا أي ما عملناه من غير معين ولا ظهير بل عملناه بقدرتنا وإرادتنا. [40]

وكقوله - جلَّ وعلا: (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيم) [يس:81]

والشاهد فيها هو (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ. . .)، حيث استفهم القرآن الكريم بأداة الاستفهام(أ)، فخرج من المعنى النحوي المتمثل في الجملة الاستفهامية التي تحتاج إلى إجابة فقط لتمنح معنًى بلاغيا مفاده التقرير، والدليل على ذلك هو ختام الآية (بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيم)، فالله -سبحانه تعالى- قد أجاب بعظمته وقدرته بأنه هو الذي خلقها دون أي تعب يذكر، وسيعيد من مات وتحلل في الأرض، فالله الأحد، والفرد الصمد، يقدر على أن يعيد ما صنعه وخلق من جديد وهذا منطق بدهي بالنسبة للبشر، أما الله -تعالى- فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، والمعنى كما يرى **فخر الدين الرازي**" أخلقكم بعد الموت أشد أم خلق السماء أي عندكم، وفي تقديركم، فإن كلا الأمرين بالنسبة إلى قدرة الله واحد والثاني: أن المقصود من هذا الاستدلال بيان كونهم مخلوقين، وهذا القول ضعيف لوجهين أحدهما : أن من أنكر كون الإنسان مخلوقا فبأن ينكر في السماء كان أولى أن أول السورة كان في بيان مسألة الحشر والنشر، فحمل هذا الكلام عليه أولى". [41]

وكقوله - جلَّ وعلا: (مَا لَكُمْ لاَ تَنَاصَرُون) [الصافات:25]

والشاهد فيها هو قوله -تعالى- : (ما لكم)، فالتركيب النحوي الاستفهامي ههنا خرج عن إطار الحقيقة إلى غرض بلاغي، وهو التعجب؛ لأن معنى الآية هو :" ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا، وأنتم هنا جميعا؟ وكلكم في حاجة إلى الناصر المعين؟! ومعكم آلهتكم التي كنتم تعبدون! ولا جواب بطبيعة الحال ولا كلام! إنما يرد التعليق والتعقيب:(بل هم اليوم مستسلمون)" .

وكقوله - جلَّ وعلا: (أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّوم) [الصافات:62]

فالشاهد هو (أذلك خير. . .)، فالاستفهام هنا أفاد غرضًا بلاغيًا وهو الإنكار والتوبيخ ويقول **قاسم دعاس**:(أَذَلِكَ) الهمزة حرف استفهام، إنكاري واسم الإشارة مبتدأ (خَيْرٌ) خبر (نُزُلًا) تمييز (أَمْ) حرف عطف (شَجَرَةُ) اسم معطوف على ذلك (الزَّقُّومِ) مضاف إليه. [42]

وكقوله - جلَّ وعلا: (فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُون) [الصافات:149] وقوله(أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُون) [الصافات:150] وقوله(أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِين) [الصافات:153]

والشاهد فيها هو قوله -تعالى- : (أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُون)، فالتركيب النحوي الاستفهامي ههنا خرج عن إطار الحقيقة إلى غرض بلاغي وهو الاستنكار والدهشة. لذا يقول **الزمخشري** في كشافه:" استفهام على طريق الإنكار والاستبعاد[43]

ومن هنا يتضح أنّ هذا الأسلوب الانشائي الاستفهامي -والذي كثر في القرآن الكريم- قد جاء بدلالة بلاغية مفادها الاستنكار مما يقوله هؤلاء الكفار.

وكقوله - جلَّ وعلا: (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُون) [الصافات:176]

فالاستفهام في قوله (أَفَبِعَذَابِنَا) جاء لعلة بلاغية ماثلة في الاستغراب والدهشة؛ لأن" المراد أنه -تعالى- بين أنهم كانوا في الدنيا يستعجلون العذاب، مع أن حالهم عند نزول العذاب طلب النظرة ليعرف تفاوت الطريقين فيعتبر به، ثم بين -تعالى- أن استعجال العذاب على وجه التكذيب إنما يقع

---

(40)فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب، 306/26.
(41)المصدر السابق، 43/31.
(42)قاسم حميدان دعاس، إعراب القرآن الكريم،109/3.
(43)الزمخشري، الكشاف، 588/4.

منهم ليتمتعوا في الدنيا، إلا أن ذلك جهل، وذلك لأن مدة التمتع في الدنيا متناهية قليلة، ومدة العذاب الذي يحصل بعد ذلك غير متناهية، وليس في العقل ترجيح لذات متناهية قليلة على آلام غير متناهية". (44)

وعليه؛ فإن هذا من الغرابة بمكان، حيث إن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم يستعجلون بالعذاب الذي يكون اليوم فيه بألف سنة مما تعدون.

وكقوله - جلَّ وعلا: (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ) [الزمر:19]

فالاستفهام في قوله (أفمن حق. وأفأنت تنقذ. .)، والغرض المراد من ورائه التقرير، أي: كلا لن تنقذ من في النار ويقول **ابن عاشور**: في تفسير هذه الآية:" أن يكون الخبر مستعملا في المعنى المركب الإنشائي، بعلاقة اللزوم بين الأمر، مثلا كما هنا، وبين الامتثال، حتى يقدر المأمور فاعلا فيخبر عنه. ويجوز جعله مجازا تمثيليا". (45)

بمعنى أنّ هذا إخبار بأنه لا يستطيع أحد أن ينقذ من في النار من العذاب الأليم؛ لكنه جاء بالسؤال التقريري.

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ) [الزمر:37]

فالاستفهام في قوله (أليس الله. . .)، فهذا استفهام من الناحية النحوية يحتاج إلى إجابة، ولكن هناك مقاصد بلاغية لهذا التساؤل وهو التقرير أي: بلى، الله عزيز ذي انتقام.

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ) [غافر:81]

والشاهد فيها هو قوله -تعالى- : (فأي آيات.)، فالتركيب النحْوي الاستفهامي ههنا خرج عن إطار الحقيقة إلى غرض بلاغيّ وهو التعجب.

حيث يقول **الزمخشري** في كشافه:" أي فأيَّ آيةٍ من تلكَ الآياتِ الباهرةِ (تُنكِرُونَ) فإنَّ كلًّا منها منَ الظهورِ بحيثُ لا يكادُ يجترىءُ على إنكارِها من له عقلٌ في الجملةِ وهو ناصبٌ لأيَّ وإضافةُ الآياتِ إلى الاسمِ الجليلِ لتربيةِ المهابةِ وتهويلِ إنكارِها وتذكير أيْ هُو الشائعُ المستفيضُ". (46)

وكقوله - جلَّ وعلا: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) [الزمر:36]

ففي هذا الشاهد استفهام وغرضه الإنكار والدهشة، وذلك في قولِه: **(أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ)** ،" إنكارٌ ونفيٌ لعدم كفايته –تعالى- على أبلغِ وجهٍ وآكدِه، كأن الكفاية من التَّحقُّقِ والظُّهورِ بحيثُ لا يقدِرُ أحدٌ على أن يتفوَّه بعدمِها أو يتلعثم في الجوابِ بوجودِها".

وهذا يعني أن في الآية استفهام لإنكار ونفي عدم الكفاية الربانية للبشرية جمعاء. (47)

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ) [الزمر:37]

وفي هذا الشاهد –أيضًا- استفهام غير حقيقي، والغرض البلاغي منه هو التقرير، إذ إن الله – تعالى- عزيز ذو انتقام ولا يعجزه شيء.

وكقوله - جلَّ وعلا: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) [محمد:22]

ففي هذا الإنشاء الاستفهامي (فهل عسيتم. . .) غرض بلاغي وهو التحذير؛ لأن القرآن الكريم يحذر اليهود من التولي والابتعاد عن الإسلام، وفعل المنكرات، التي بدورها سيخلفها الفساد والإفساد، وهذا ما جرى مع اليهود من تقتيل وتدمير وسفك للدماء وانتاك لحرمات الله -تعالى، لذا

(44)فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب،534/24.
(45)ابن عاشور، التحرير والتنوير، 396/2.
(46)الزمخشري، الكشاف، 286/7.
(47)الزمخشري، الكشاف، 255/7.

يقول **سيد قطب:"** وهذا التعبير. (فَهَلْ عَسَيْتُمْ). يفيد ما هو متوقع من حال المخاطبين. ويلوح لهم بالنذير والتحذير. احذروا فإنكم منتهون إلى أن تعودوا إلى الجاهلية التي كنتم فيها. تفسدون في الأرض وتقطعون الأرحام، كما كان شأنكم قبل الإسلام". [48]

وكقوله - جلَّ وعلا: (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى) [النجم:21]

ففي هذا الشاهد أسلوب إنشائي في قوله: (أَلَكُمْ. . .)، ويظهر الغرض البلاغي من خلال السياق وهو التوبيخ، لذا يقول **أبو السعود** في تفسيره:**"** شهادةٌ بينةً فإنَّه توبيخٌ مبنيٌّ على التوبيخِ الأولِ – يقصد الآية السابقة(أفرأيتم اللات والعزى) - وحيثُ كانَ مدارُه تفضيلَ جانب أنفسهم على جناب الله –تعالى- بنسبتِهِم إليه –تعالى- الإناثَ مع اختيارِهم لأنفسِهم الذكورَ وجبَ أن يكون مناطُ الأولِ نفسَ تلك النسبةِ حتَّى يتسنَّى بناءُ التوبيخ الثاني[49].

وهذا يعني أن الاستفهام في الآية توبيخ وتقريع لما يقوله هؤلاء الظالمون.

وكقوله - جلَّ وعلا: (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُون) [الطور:40]

والشاهد فيها هو قوله -تعالى- : (أَمْ تَسْأَلُهُمْ)، فالتركيب النحوي الاستفهامي ههنا خرج عن إطار الحقيقة إلى غرض بلاغي وهو التهكم. ويقول **ابن عاشور** في التحرير والتنوير:**"** والاستفهام المقدر بعد (أَمْ) مستعمل في التهكم بهم بتنزيلهم منزلة من يتوجس خيفة من أن يسألهم الرسول- صلى الله عليه وسلم- أجرا على إرشادهم، والتهكم استعارة مبنية على التشبيه، والمقصود ما في التهكم من معنى أن ما نشأ عنه التهكم أمر لا ينبغي أن يخطر بالبال. [50] . وقصد **ابن عاشور** الاستعارة المبينة على التشبيه هو في كلمة (تسألهم) فالكفار كالمتوجسين الذين يخشون أن يطلب الرسول –صلى الله عليه وسلم- أجرا بسبب دعوته وتوضيحه للأمور والدين.

ومن اللافت أن كلمة **تسألهم** جاءت فعل مضارع تفيد الاستمرارية والديمومة، وهذا يناسب مقام الآية. لذا يقول **ابن عاشور** في موضع آخر:**"** وجيء بالمضارع في قوله (تَسْأَلُهُمْ) لإفادة التجدد، أي تسألهم سؤالا متكررا؛ لأن الدعوة متكررة، وقد شبهت بسؤال سائل[51] .

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) [القمر:15].

فالاستفهام في قوله (فهل من مدكر)، وغرضه البلاغي التشويق، إذ إن الآية تشوق القارئ وتشوق الناس على تلاوة القرآن وتدبر معانيه، ولقد كثر تكرار هذه الآية في سورة القمر، وهذا يدلل على التأكيد على تدبر القرآن والتفكر في مخلوقات الرحمن –سبحانه وتعالى.

وكقوله - جلَّ وعلا: (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءةٌ فِي الزُّبُر) [القمر:43]

والشاهد فيها هو قوله -تعالى- : (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ.)، فالتركيب النحوي الاستفهامي ههنا خرج عن إطار الحقيقة إلى غرض بلاغي وهو الاستنكار.

وكقوله - جلَّ وعلا: (أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُون) [الواقعة:59]

والشاهد فيها هو قوله تعالى: (أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ.)، فالتركيب النحوي الاستفهامي ههنا خرج عن إطار الحقيقة إلى غرض بلاغي وهو الدهشة والاستنكار.

---

(48)سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم،97/32.

(49)أبو السعود، تفسير أبي السعود، 158/8.

(50)ابن عاشور، التحرير والتنوير، 85/27.

(51)المصدر نفسه.

وكقوله - جلَّ وعلا: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم) [المجادلة:7]

والشاهد فيها هو قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ)، فالتركيب النحوي الاستفهامي ههنا خرج عن إطار الحقيقة إلى غرض بلاغي وهو النصح والإرشاد.

وكقوله - جلَّ وعلا: (أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُور) [الملك:16]

والشاهد فيها هو قوله تعالى: (أَأَمِنتُم)، فالتركيب النحوي الاستفهامي ههنا خرج عن إطار الحقيقة إلى غرض بلاغي وهو التعجب.

وكقوله - جلَّ وعلا: (أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِين) [المرسلات:16]

والشاهد فيها هو قوله -تعالى- : (أَلَمْ نُهْلِكِ)، فالتركيب النحوي الاستفهامي ههنا خرج عن إطار الحقيقة إلى غرض بلاغي وهو التقرير.

وكقوله - جلَّ وعلا: (أَلَمْ نُهْلِكِ الأَرْضَ كِفَاتًا) [المرسلات:25]

والشاهد فيها هو قوله -تعالى- : (أَلَمْ نُهْلِكِ)، فالتركيب النحوي الاستفهامي ههنا خرج عن إطار الحقيقة إلى غرض بلاغي وهو التقرير." مَصْدَر كَفَتَ بِمَعْنَى ضَمَّ أَيْ ضَامَّة"[52]

"أي ضامة تضم الأحياء على ظهورها والأموات في بطنها. وهذا يدل على وجوب مواراة الميت ودفنه، ودفن شعره وسائر ما يزيله عنه". [53]

وكقوله - جلَّ وعلا: (بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَت) [التكوير:9]

فجاء الاستفهام في قوله: (بِأَيِّ ذَنبٍ)، والغرض البلاغي لهذا الاستفهام هو التوبيخ.

وكقوله - جلَّ وعلا: (أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُون) [المطففين:4]

فجاء الاستفهام في قوله: (أَلاَ يَظُنُّ)، والغرض البلاغي لهذا الاستفهام هو التعجب.

وكقوله - جلَّ وعلا: (أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَت) [الغاشية:17]

والشاهد فيها هو قوله -تعالى- : (أَفَلاَ يَنظُرُونَ)، فالتركيب النحوي الاستفهامي ههنا خرج عن إطار الحقيقة إلى غرض بلاغي وهو الحث والإرشاد. لذا يقول جلّ ثناؤه: أفلا ينظرون إلى الإبل فيعتبرون بها، ويعلمون أن القُدرة التي قدر بها على خلقها، لن يُعجزه خلق ما شابهها. [54]

وكقوله - جلَّ وعلا: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَك) [الشرح:1]

والشاهد فيها هو قوله -تعالى- : (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ)، فالتركيب النحوي الاستفهامي ههنا خرج عن إطار الحقيقة إلى غرض بلاغي وهو الحث والإرشاد.

---

(52)جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، 785/1.
(53)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي)،161/19.
(54)محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، 388/24.

وكقوله - جلَّ وعلا: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِين) [التين:8]

فجاء الاستفهام في قوله: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ)، والغرض البلاغي لهذا الاستفهام هو (التقرير) . ويقول **ابن كثير**:" أي: أما هو أحكم الحاكمين، الذي لا يجور ولا يظلم أحدا، ومن عدله أن يقيم القيامة فينصف المظلوم في الدنيا ممن ظلمه". (55)

المطلب الرابع: السر البلاغي لفن الإيجاز في القرآن الكريم.

أولًا- التعريف لُغةً واصطلاحًا:-

في اللُّغة:

هو طلب الكف عن الفعل: جاء في (لسان العرب) (النهي) خلاف الأمر، (نهاه، ينهاه نهياً) و(انتهى، وتناهى) : كف(56) وقيل: النهي لُغةً: المنع، يقال: نهيت الرجل عن الامر، انهاه نهياً. (57)

المفهوم الاصطلاحي:

عرفه **العلوي**:" هو عبارة عن قول ينبئ عن المنع من الفعل على جه الاستعلاء" كقوله:" لا تفعل (58)" .

ثانيا: الأغراض البلاغية للنهي مع بيان القيم الجمالية فيه:

تبين للباحثين أنه ومن خلال دراسته لباب الأدب النبويّ أن النهي له أغراض بلاغية متنوعة وصلت إلى أربعة أغراض وهي كما يلي:

1- الحث والنصح:

وكقوله - جلَّ وعلا: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُون) [المجادلة:9]

فاستخدم النهي في قوله –تعالى: (لاَ تَتَنَاجَوْا)، والسر البلاغي في هذا النهي هو النصح والإرشاد.

ويبدو للباحثين أن النهي في هذه الآية قد جاء في قالَب أسلوب الشرط، حيث جاء كجملة جزاء أو جواب لفعل الشرط(إذا تناجيتم)، وهذه من التداخل النحوي والبلاغي، مخلفا وراءه بلاغة جميلة وتراكيب نحوية بديعة وقوية لافتة للانتباه.

2- الارشاد والتوجيه:

وكقوله - جلَّ وعلا: (قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم) [الزمر:53]

فاستخدم النهي في قوله –تعالى: (لاَ تَقْنَطُوا)، والسر البلاغي في هذا النهي هو الإرشاد والتوجيه.

فالنهي –هنا- جاء بعد أسلوب النداء وهذا من الجمال البلاغي من ناحية، ومن ناحية أخرى فهو أدب قرآني رفيع، أما الجمال البلاغي فقد ارتبط النهي بالنداء مع الدلائل البلاغية، أما الأدب القرآني فهو متمثل في استخدام تقديم لطيف ومحبب وهو النداء، ثم النهي الذي جاء للإرشاد والتوجيه.

وكقوله - جلَّ وعلا: (فَلاَ تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُم) [محمد:35]

فالشاهد في هذه الآية هو كلمة(فَلاَ تَهِنُوا)، وهو أسلوب إنشائي، ونوعه نهي، وغرضه البلاغي هو الإرشاد والتوجيه. ففي هذا النهي جاء ليوجه المسلمون عد الاستكانة والمذلة، لأن هذا من سمات المنافقين، وديدن الكافرين والظالمين والضعفاء.

(55)أبو الفداء ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،435/8.

(56) لسان العرب: مادة (نهى) : 218/20.

(57) جمهرة الأمثال، الحسن بن عبد الله، أبو هلال العسكري، تحقيق عبد المجيد قطامش،183/3.

(58) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي يحيى بن حمزة،. 284/3.

وكما يقول **أبو السعود** في تفسيره:" تشجيعٌ للمؤمنين وتقويةٌ لقلوبهم وتسليةٌ عما أصابهم يوم أحُدٍ من القتل والقرح"[59]

3- التيئيس:

كقوله - جلَّ وعلا: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُون) [التحريم:7]

فاستخدم النهي في قوله –تعالى: (لاَ تَعْتَذِرُوا)، والسر البلاغي في هذا النهي هو التيئيس.

فالنهي ليس مجرد تركيب نحوي فقط، وإنما جاء كعملية بلاغية تيئيسية للذين كفروا، وفي هذا النهي ما هو مؤثر على النفس البشرية سواء المؤمن أو الكافر، فالمؤمن يخش ربه منه هذه الأمور، أما الكافر فقد يرتدع ويرجع إلى الإسلام إن كان مترددا، أو يعتنق الإسلام إن كان غير مسلم.

4- الدعاء:

كقوله - جلَّ وعلا: (رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم) [الممتحنة:5]

فالشاهد في هذه الآية هو كلمة(لاَ تَجْعَلْنَا)، وهو أسلوب إنشائي، ونوعه نهي، وغرضه البلاغي هو الدعاء.

ذلك أن النهي هنا كدعاء من الإنسان المسلم حين يدعو ربه، حيث يحتاج –دوما- أن يرزقه الله حفظ القلب والنفس من الفتن ومن الكفر والكفار.

5- التحذير:

كقوله - جلَّ وعلا: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيل) [الممتحنة:1]

فاستخدم النهي في قوله –تعالى: (لاَ تَتَّخِذُوا)، والسر البلاغي في هذا النهي هو التحذير والتنبيه.

ويبدو أن النهي هنا كغيره من نواهي القرآن السابقة تأتي بعد أسلوب النداء، فيندمج النحو بالبلاغة، والنداء بالنهي مع أسرارهما البلاغية.

وكقوله - جلَّ وعلا: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيم) [الحجرات:1]

فالشاهد في هذه الآية هو كلمة(لاَ تُقَدِّمُوا)، وهو أسلوب إنشائي، ونوعه نهي، وغرضه البلاغي هو التحذير والتنبيه.

ومن اللافت للانتباه هنا أن النهي في القرآن عموما جاء لمصلحة الإنسان، ولعلنا نلحظ الأسرار الجمالية والأغراض البلاغية، فنجدها كلها تقع بين النصح والإرشاد والتوجيه وتحذير المسلم من الوقوع في المهالك وزجر للكفار إن بقوا على كفرهم.

فهنا نلحظ أن القرآن الكريم قد نهى الصحابة ومن بعدهم من أمة النبي-صلى الله عليه وسلم- أن يتجاوزا حدودهم والمعنى كما يرى الرازي في مفاتيح الغيب:" لا تقدموا بين يدي الله ورسوله، ولا تتجاوزوا ما يأمر الله -تعالى- ورسوله"[60]

وكقوله - جلَّ وعلا: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون) [الحجرات:11]

فاستخدم النهي في قوله –تعالى: (لاَ يَسْخَرْ)، والسر البلاغي في هذا النهي هوالتحذير والتنبيه.

ومن الواضح أن النهي في هذه الآية جاء بعد نداء للذين آمنوا، وقد لفت الانتباه إلى أن النهي في القرآن الكريم قد امتلأ على هذه الشاكلة، أي يأتي النهي بعد النداء للذين آمنوا، وعليه ينبغي القول: إن القرآن جاء بأسلوب بلاغي راقي، وذلك من خلال استخدام أسلوب التلطف والتمهيد للنهي، وهذا من سماحة الإسلام، ومن أخلاق القرآن الذي يربي النشء ويوجه المسلمين إلى السبيل والطريق المستقيم.

---

(59)أبو السعود، تفسير أبي السعود،88/2.
(60)فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب،91/28.

المطلب الخامس: السر البلاغي لفن الإيجاز في القرآن الكريم.

إن توظيف فن الإيجاز سيما إيجاز الحذف في التراكيب والجمل القرآنية كثيرا ما يكون في اللغة العربية أكثر فصاحة ودقة في التعابير القرآنية.

أولا: مفهوم الإيجاز:

"الإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط، والإطناب هو أداؤه بأكثر من عباراته سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل". [(61)]

كما عرف بأنه" التعبير عن المراد بلفظ غير زائد، ويقابله الإطناب؛ وهو التعبير عن المراد بلفظ أزيد من الأول. ويكاد يجمع الجمهور على أن الإيجاز، والاختصار بمعنى واحد؛ ولكنهم يفرقون بين الإطناب والإسهاب بأن الأول تطويل لفائدة، وأن الثاني تطويل لفائدة، أو غير فائدة. [(62)]

ويعدُّ الإيجاز والإطناب من أعظم أنواع البلاغة عند علمائها، حتى نقل صاحب سر الفصاحة عن بعضهم أنه قال: **اللُّغة** هي الإيجاز والإطناب. وقال **الزمخشري** صاحب الكشاف: كما أنه يجب على البليغ في مظانِّ الإجمال أن يجمل ويوجز، فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل أن يفصل ويشبع [(63)] .

ثانيا: الإيجاز بالحذف وأسراره البلاغية

- التعريف لُغةً واصطلاحًا:-

جديد بالذكر أن أسلوب الحذف هو أسلوب مستعمل في كل اللغات، سيما انتشاره في اللُّغة العربية، لأنه ينبغي أن يكون الكلام العربي حلو المذاق، ولا يكون كذلك إلا بالإيجاز الذي لا يتأتى إلا بطريق القصر والحذف؛ لأنه كما يقول **عمرو بن كلثوم:"** ومع الإكثار يكون الإهزار"[(64)] ومن-هنا- فإن قضية الحذف من الضرورة بمكان في الموقع العربي نحوه وبلاغته، ويبدو أن الحذف قد تنبه إليه النحاة أولا ثم استدركه البلاغيون فأدخلوه في أبواب تُعنى بالبلاغة.

- **في اللُّغة:**[(65)] : الحذف مصدر جار على القياس للفعل (حذف) ومضارعه (يحذف) بكسر العين من باب ضرب، والمراد بالحذف-هنا-الإسقاط، لا الرمي ولا القطع؛ لأن الرمي للموجود، والقطع للموصول.

- **المفهوم الاصطلاحي:**

عرفه **الرماني** بأنه: (إسقاط كلمة للإجزاء عنها بدلالة غيرها من الحال، أو فحوى بالكلام) [(66)] .

والإيجاز في اللُّغة العربية أصل وروح وطبع، لأنها لُغةً أمة صافية الذهن، دقيقة الحس، سريعة الفهم، تشعر بقوة، وتعبر بقوة، وتفهم بقوة، والبلاغة الإيجاز، والإيجاز امتلاء في اللفظ، وقوة الحبك، وشدة في التماسك[(67)] .

وقال **الجاحظ**: (وليس الأمر كما قال **إياس**: فإن للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن مقدرًا الاحتمال، ودعا إلى الاستثقال والملال، فذلك الفاضل الهذر، وهو الخطل، وهو الإسهاب الذي سمعت الحكماء يعيبونه) [(68)] .

[(61)] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص170.

[(62)] علي بن نايف الشحود، الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، ص10

[(63)] المصدر نفسه.

[(64)] أبو سعد منصور بن الحسين، نثر الدر في المحاضرات، 259/4. وانظر: شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، أحمد بن الأمين، ص69.

[(65)] ينظر: الصحاح، مادة (حذف) (1341/4).

[(66)] الرماني،النكت في إعجاز القرآن، (ص76).

[(67)] أحمد حسن الزيات، ينظر: دفاع عن البلاغة العربية، ص105.

[(68)] الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق هارون، ج1 ص99.

والإيجاز والإطناب من الأمور النسبية التي لا تخضع لمعيار دقيق، ولا نجد لهما حدا ثابتا يمكن القياس عليه، واعتماده في كل وقت، إنهما كما سبق يخضعان لطبيعة المواقف، وضروراتها ومتطلباتها، ومن يوجه إليه الحديث فيهما، وقد لاحظ ذلك السكاكي(69) فقال: (أما الإيجاز والإطناب فلكونهما نسبين لا يتيسر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق، والبناء على شيء عرفي، ومعنى ذلك أنه لا يمكن وضع تعريف تحقيقي، ولا بد من التسهل في القول، ومن ثم اتخذ**السّكّاكي** كلام أوساط الناس الذي يعبرون به دون زيادة أو نقص نقطة يمكن الانطلاق منها، فما قل من الكلام عنها، وأدى الفائدة كاملة كان إيجازا، وما زاد عنها وحقق نفس الغاية كان إطنابا.

وفي ضوء ما تقدم يفهم الإيجاز كما فهم المجاز والاستعارة، وذلك أنه يلزمهم إذا كان اللفظ فصيحا لأمر يرجع إليه نفسه دون معناه كان يكون كذلك موجزا لأمر يرجع إلى نفسه. (70)

ثانيًا- الشواهد البلاغية والقيم الجمالية لهذا الفن البلاغي.

كقوله - جلَّ وعلا: (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ) [الرحمن:20]

والمراد بالبرزخ الذي بينهما: الفاصل بين الماءين الحلو والملح بحيث لا يتغير أحد البحرين طعم الآخر بجواره. وذلك بما في كل ماء منهما من خصائص تدفع عنه اختلاط الآخر به. فالتقدير في الآية (لايبغيان بعضهما على بعض) وهذا من الإيجاز البلاغي الراقي، لذا يقول **ابن عاشور**:" وهو معنى (لا يبغيان)، أي لا يبغي أحدهما على الآخر، أي لا يغلب عليه فيفسد طعمه فاستعير لهذه الغلبة لفظ البغي الذي حقيقته الاعتداء والتظلم. (71)

فكان الحذف أقوى في التعبير وأجمل بلاغة، لأن هذا السياق كان واضحا وبيّنا ولا داعي إلى تلك الزيادات والإسهابات.

وكقوله - جلَّ وعلا: (فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا) [الشمس:13]

والتقدير في الآية (هذه ناقة الله)، وكما يقول **ابن سيده** في إعرابه للقرآن الكريم:" وقرأ الجمهور: (ناقة الله) بنصب التاء، وهو منصوب على التحذير مما يجب إضمار عامله، لأنه قد عطف عليه، فصار حكمه بالعطف حكم المكرر، كقولك: الأسد الأسد، أي احذروا ناقة الله وسقياها فلا تفعلوا ذلك".

ولعل حذف فعل التحذير هنا أعطى قوة في التعبير وسرعة في الانتباه ولفت انتباه كبير، كما منح نوعا من التنبيه والتحذير. (72)

المطلب السادس: السر البلاغي لفن الإطناب في القرآن الكريم.

التعريف لُغةً واصطلاحًا:-

في اللُّغة:

البلاغة في المنطق والوصف مدحا كان أو ذما، وأطنب في الكلام: بالغ فيه، وأطنب في الوصف: إذا بالغ واجتهد، وأطنب في الكلام -أيضًا– إذا أبعد، وأطنب الإبل: إذا تبع بعضها بعضا في السير(73)، وهي معان كلها تدل على الطول والتتابع.

المفهوم الاصطلاحي:

(69)السكاكي، مفتاح العلوم، ص120.

(70)عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص356.

(71) ابن عاشور، التحرير والتنوير،232/27.

(72)ابن سيده، إعراب القرآن الكريم، 205/8.

(73)أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، 224/1.

وفي اصطلاح البلاغيين: هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة [74] . لهذا الفنّ أساسه النفس من رغبة المتكلم في الإفاضة، وفي هذا دلالة على فكر غني وشعور زاخر وحس متوقد في تصور المعنى. وهو وفي نفس الوقت ملائم لأحوال خاصة تستلزمه، وقد ذكر البلاغيون أنواعا كثير منه وأشاروا إلى خصائصها البلاغية[75] .

صور الإطناب مع بيان القيم الجماليَّة فيها:

1- الإيضاح بعد الإبهام :

وفائدته تقرير المعنى في ذهن المخاطب، حيث يتم ذكر المعنى مرتين، مرة على سبيل الإبهام وأخرى على سبيل الإيضاح .

كقوله –تعالى:(الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [يس:65]

فالإبهام في قوله تعالى: (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ)، و الإيضاح في قوله: (أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون)، وجاء هذا النوع من الإطناب وجاء لتقرير المعنى في ذهن القارئ أو المتلقي. .

وكقوله –تعالى:(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم) [المجادلة:7]

فالإبهام في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، و الإيضاح في قوله: (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم)، وجاء هذا النوع من الإطناب ليمنح نوعا من التفكير لدى المخاطب وللتأكيد على علم الله تعالى. لذا قال **ابن كثير**:" ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علم الله -تعالى- ولا شك في إرادة ذلك ولكن سمعه أيضًا مع علمه محيط بهم، وبصره نافذ فيهم، فهو، سبحانه، مطلع على خلقه، لا يغيب عنه من أمورهم شيء. ثم قال: (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم) قال الإمام أحمد: افتتح الآية بالعلم، واختتمها بالعلم". [76]

ذكر العام بعد الخاص :

وفائدته الشمول والاهتمام بالخاص لذكره ثانية ضمن العام.

كقوله –تعالى:(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَاب) [الزمر:21]

فالخاص في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا)، والعام في قوله: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى)، وجاء هذا النوع من الإطناب للإحاطة والشمول وكتأكيد ثانٍ للعناية والاهتمام بهذا الأمر. ويقول **البيضاوي** :" إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرى لتذاكيرًا بأنه لا بد من صانع حكيم دبره وسواه، أو بأنه مثل الحياة الدنيا فلا تغتر بها. لِأُولِي الْأَلْبابِ إِذْ لاَ يَتَذكر به غيرهم. [77]

و كقوله –تعالى:(مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا) [نوح:25]

فالخاص في قوله تعالى: (مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا)، والعام في قوله: (فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا)، وجاء هذا النوع من الإطناب ليشمل كل أنواع من يفعل الخطيئات فهي شاملة ولامة لكل أهل المعاصي والذنوب والجرائم.

(74)ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: بدوي طبانة، 128/2.

(75)التفتازاني، المطول على التلخيص، ص291 وما بعدها.

(76)أبو الفداء ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 42/8.

(77)ناصر الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 40/5.

2- التتميم والتكميل:

عرفه **أبو هلال العسكري** قائلا:" التتميم والتكميل هو أن توفي المعنى حظه من الجودة وتعطيه نصيبه من الصحة ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا توردِه، أو لفظا يكون فيه توكيد إلا تذكره"[78].

كقوله –تعالى:(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِين) [يس:12]

فالتتميم في قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ)، والتكميل في قوله: (وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِين)، وجاء هذا النوع من الإطناب للإيغال والتأكيد في المعنى، لأن الهذا النوع كالتكرار الذي يعمل العقل ويلفت الانتباه.

و كقوله –تعالى:(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد) [فصلت:53]

فالتتميم في قوله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)، والتكميل في قوله: (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد)، وجاء هذا النوع من الإطناب لإعادة النظر والتأمل –دوما- في مخلوقات الله –تعالى وقدرته.

و كقوله –تعالى:(يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم) [الحديد:12]

فالتتميم في قوله تعالى: (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا)، والتكميل في قوله: (ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم)، وجاء هذا النوع من الإطناب ليمنح نوعا من التركيز والاهتمام. ويقول **البغوي** في تفسيره للآية:" يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم كتبهم يريد أن كتبهم التي أعطوها بأيمانهم ونورهم بين أيديهم، وتقول لهم الملائكة: بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم". [1]

المبحث الثاني: السر البلاغي للتقديم والتأخير في القرآن الكريم.

إذا ما أردنا الحديث عما يتعلق بجانب التقديم والتأخير والذي يعد من حسنات اللغة العربية مما جعل ابن جنى وغيره يطلق مصطلح (شجاعة العربية) راجعا ذلك إلى عدة أمور أبرزها الحذف والزيادة والتقديم والتأخير. فإن هذا من الضرورة والإلحاح بمكان للحديث عنه، لاسيما وقد افتقرت وعجزت جميع اللغات الأخرى بالإتيان بهذا الباب، ذلك أن التقديم في الجملة لا يحلو له إلا أن يكون هو الأفصح والألطف فتقديم الخبر على المبتدأ حينا وتأخيره حينا آخر لا يتم إلا إذا كان هناك علة أو أكثر فصاحة وجمالا بلاغيا وأسلوبيا.

التعريف لُغةً واصطلاحًا:-

في اللُّغة:

عند بحثنا عن مادة (قَدَمَ وأخَرَ) في المعاجم العربية، رأينا أنّ لها معاني عديدة، من هذه المعاني ما ذُكر في معجم العين قوله (القُدْمَة والقُدمُ السابقةُ في الأمر كقوله -تعالى-: **[أن لهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِين]** [يونس: 2] أي: سبق لهم عند الله خير، وللكافرين قدم شر، والقِدَمُ: مصدر القديم من كل شيء، وتقول: قَدُمَ يَقْدُمُ، وقَدَمَ فلان قومه، أي: يكون أمامهم) [79].

وقال **الزمخشري**: (قدَّمْته واقْدَمْتهُ، فقدَّمَ وأقْدَمَ بمعنى تقدّم ومنهُ مقدِّمةُ الجيش للجماعة المتقدِّمةِ والأقْدَام في الحرب)) [80]، قال عنترة :

[78]أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص389.

[1] أبو محمد البغوي، عالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، 28/5.

[79] الفراهيدي، العين تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، 122/5، 123، مادة قَدَمَ.

[80] الزمخشري، أساس البلاغة، ص235و 235.

ولقد شفى نفسي وأبرأ سَقْمها قيل الفوارس ويكَ عنترةُ أقدِمِ[81]

وفي أسماء الله -تعالى- (المُقدِّم هو الذي يُقدِّم الأشياء، ويضعها في مواضعها فمن استحق التقديم قدَّمَهُ، والقديم على الإطلاق، الله عزّ وجلّ، والقِدَمُ نقيضُ الحدوثِ، والقُدْمَةُ في الغنم التي تكون أمام الغنم في الرعي) [82]، والتأخير عكس التقديم.

المفهوم الاصطلاحي:

لم نجد في المصادر القديمة مَنْ ذكر التقديم والتأخير اصطلاحاً، بل كانت هناك إشارات إلى التقديم، وذلك ضمن تعريفهم لهذا الأسلوب، فقد ذكر بعض العلماء كلامًا عن هذا الأسلوب، كقول **العسكري:** (وتجد اللفظة لم تقع في موقعها ولم تصل إلى مركزها ولم تتصل بسلكها وكانت قلقة في موضعها متأخرة عن مكانها فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن والنزول في غير أوطانها) [83]، أما **الجرجاني** فقد قال: (ثم تنظر فتجد سبب أنْ راقك ولَطُف عندك أن قُدّم فيه شيء وحوّل اللفظ عن مكانٍ إلى مكان آخر) [84]، **فالجرجاني** يرى أن التقديم، هو تحويل اللفظ من مكانهِ إلى مكانٍ آخر[85] .

ثانيا: الأسرار البلاغية للتقديم التأخير مع بيان القيم الجماليَّة فيها:

1- التخصيص:

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّين) [ص:78].

فتقدمت كلمة (عَلَيْكَ) على كلمة (لَعْنَتِي)، فجاء التقديم والتأخير لغرض بلاغي وهو التخصيص والتركيز. وكان هذا التخصيص بحق إبليس الذي أكد القرآن. لذا يقول **الرازي** في مفاتيح الغيب:" فهذا إخبار من الله -تعالى- بأنه لا يؤمن، فلو آمن لا نقلب خبر الله الصدق كذبا وهو محال، فكان صدور الإيمان منه محالا مع أنه أمر به". [86]

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُون) [الزخرف:14]

فتقدمت كلمة (إِلَى رَبِّنَا) على كلمة (لَمُنقَلِبُون)، فجاء التقديم والتأخير لغرض بلاغي وهو الاختصاص. إذ إن التركيز هنا على لفظ الكريم (ربنا) فكل شيء منقلب له، ولعل ذكر الانقلاب للإنسان الذي يصاحبه الموت كما وضح **الرازي** في تفسيره قائلا:" واعلم أن وجه اتصال هذا الكلام بما قبله أن ركوب الفلك في خطر الهلاك، فإنه كثيرا ما تنكسر السفينة ويهلك الإنسان وراكب الدابة –أيضًا- كذلك؛ لأن الدابة قد يتفق لها اتفاقات توجب هلاك الراكب، وإذا كان كذلك فركوب الفلك والدابة يوجب تعريض النفس للهلاك، فوجب على الراكب أن يتذكر أمر الموت، وأنه منقلب إلى الله –تعالى- وغير منقلب من قضائه وقدره.

وكقوله - جلَّ وعلا: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَان) [الرحمن:26]

فتقدمت كلمة (مَنْ عَلَيْهَا) على كلمة (فن)، فجاء التقديم والتأخير لغرض بلاغي وهو التخصيص.

"فـ(من) للعقلاء وكل ما على وجه الأرض مع الأرض فان، فما فائدة الاختصاص بالعقلاء؟ نقول: المنتفع بالتخويف هو العاقل فخصه -تعالى- بالذكر".

---

(81)سيف الدين الكاتب أحمد عصام الكاتب، شرح ديوان عنترة ابن شداد، قدم لهُ وعلق على حواشيه، 194.

(82)ابن منظور، لسان العرب المحيط مادة قَدَمَ.

(83) أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ص140– 141

(84) الجرجاني، دلائل الإعجاز، صححهُ وشرحهُ وعلق عليه: أحمد مصطفى المراغي، ص82.

(85) السبكي، ينظر مفتاح العلوم، ص157، 179.

(86)فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب، 159/25.

ويعلق **الرازي** في موضع آخر قائلا:" الفائدة في بيان أنه -تعالى- قال: فان؟ نقول: فيه فوائد منها: الحث على العبادة وصرف الزمان اليسير إلى الطاعة، ومنها: المنع من الوثوق بما يكون للمرء فلا يقول: إذا كان في نعمة إنها لن تذهب فيترك الرجوع إلى الله معتمدا على ماله وملكه، ومنها: الأمر بالصبر إن كان في ضر". (87)

2- العناية والاهتمام:

كقوله - جلَّ وعلا: (وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُون) [يس:73]

فجاء التقديم في كلمة(لهم فيها)، والتأخير في كلمة (منافع)، والعلة البلاغية في هذا الأسلوب هي العناية والاهتمام، وبالتالي لم يكن تقديم الخبر على. المبتدأ(منافع) دون دلالة بلاغية، بل كان هناك دور بلاغي، حيث أكد القرآن الكريم ولفت الانتباه إلى هذه الفئة من الناس الذين نسوا ما رزقهم الله -تعالى- من خير وفير ونعم جمة لا تحصى.

وكقوله - جلَّ وعلا: (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُم) [الغاشية:25]

فجاء التقديم في كلمة(إِلَيْنَا)، والتأخير في كلمة (إِيَابَهُم)، والعلة البلاغية في هذا الأسلوب هي العناية والاهتمام.

3-التشويق:

كقوله - جلَّ وعلا: (عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِين) [الصافات:44]

فتقدمت كلمة (عَلَى سُرُرٍ) على كلمة (مُّتَقَابِلِين)، فجاء التقديم والتأخير لغرض بلاغي وهو التشويق. وقد وضح في تفسيره لهذه الآية قائلا:" ومعناه أنه لا كلفة عليهم في التلاقي للأنس والتخاطب، وقيل: إذا أرادوا القرب سار السرير تحتهم، ولا يجوز أن يكونوا متقابلين إلا مع حصول الخواطر والسرائر ولن يكونوا كذلك إلا مع الفسحة والسعة، ولا يجوز أن يسمع بعضهم خطاب بعض ويراه على بعد إلا بأن يقوي الله أبصارهم وأسماعهم وأصواتهم".

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُون) [غافر:80]

فجاء التقديم في كلمة(وَلَكُمْ فِيهَا)، والتأخير في كلمة (مَنَافِعُ)، والعلة البلاغية في هذا الأسلوب هي التشويق. وقال **ابن عاشور** موضحا هذه الآية كما توضيح بعض البلاغيات فيها :" وجملة (وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) عطف على جملة (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ)، والمعنى –أيضًا- على اعتبار التعليل كأنه قيل: ولتجتنبوا منافعها المجعولة لكم وإنما غير أسلوب التعليل تفننا في الكلام وتنشيطا للسامع لئلا يتكرر حرف التعليل تكرارات كثيرة. (88)

وكقوله - جلَّ وعلا: (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَان) [الرحمن:22]

فتقدمت كلمة (مِنْهُمَا) على كلمة (اللُّؤْلُؤُ)، فجاء التقديم والتأخير لغرض بلاغي وهو التشويق. واللؤلؤ والمرجان يخرجان من أحد البحرين وهو البحر الملح لا من البحر العذب. (89)

وكقوله - جلَّ وعلا: (فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَة) [الغاشية:13]

---

(87) المصدر السابق، 53/29.
(88)ابن عاشور، التحرير والتنوير،255/24.
(89) المصدر السابق،89/25.

فتقدمت كلمة (فِيهَا) على كلمة (سُرُرٌ)، فجاء التقديم والتأخير لغرض بلاغي وهو التشويق. ويقول **ابن عاشور**:" وأعيد قوله: (فِيهَا) دون أن يعطف (سُرُرٌ) على (عَيْنٌ) عطف المفردات؛ لأن عطف السرر على (عَيْنٌ) يبدو نابيا عن الذوق لعد الجامع بين عين الماء والسرر في الذهن لولا أن جمعها الكون في الجنة، فلذلك كرر ظرف (فِيهَا) تصريحًا بأن تلك الظرفية هي الجامع". (90)

4-التحذير:

وكقوله - جلَّ وعلا: (عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ) [البلد:20]

فتقدمت كلمة (عَلَيْهِمْ) على كلمة (نَارٌ)، فجاء التقديم والتأخير لغرض بلاغي وهو التحذير. ويقول **سيد قطب**، إنما أنت مذكر وحسابهم بعد ذلك على الله. ولا مفر لهم من العودة إليه، ولا محيد لهم من حسابه وجزائه. (91)

وكقوله - جلَّ وعلا: (إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ) [الهمزة:8]

فجاء التقديم في كلمة(عَلَيْهِم)، والتأخير في كلمة (مُّؤْصَدَة)، والعلة البلاغية في هذا الأسلوب هي التحذير. فكان التحذير في هذا الغرض هو المختار وذلك لخطورة الموقف، والمعنى كما يرى صاحب الكشاف:" أنه يؤكد يأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الأبد، فتؤصد عليهم الأبواب وتمدد على الأبواب العمد، استيثاقًا في استيثاق". (92)

المبحث الثالث : السر البلاغي لأسلوب التكرار في القرآن الكريم.

التكرار مزية جمالية وبلا منازع في أحاديث الأدب النبوي، ولو وجد هذا الأسلوب في الفصاحة العربية والشعرية، كما تذوق أحدنا الجمال التكراري والإيقاع الموسيقي الذي ينتجه التكرار النبوي او التكرار الأدبي إن جاز القول ورغم وجود التكرار اللفظي في القرآن الكريم إلا أنه منح أساليب بلاغية وبديعية يستطيع الخبير في البلاغة افتتاحها من هذه الآيات القرآنية. ولعل المستدرك القرآن الكريم يرى أن التكرار موجود بشكل كبير.

ثانيًا- الشواهد البلاغية والقيم الجمالية لهذا الفن البلاغي.

يمكن القول إن التكرار ينقسم إلى عدة أقسام وحاول الباحثان الاجتهاد في تقسيم هذا الفن البلاغي البديعي وقبل ذلك النحوي كما يلي:

1- **ما يكون التكرار مستفهما.**

كقوله - جلَّ وعلا: (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ) (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقِ) [الطارق:1-2]

فقد جاء التكرار في هذه الآية في كلمة (**الطَّارِق**)، من باب التعظيم والتفخيم، فالتكرار في القرآن لا يأتي مجردا من دلائل بلاغية وأسرار جمالية؛ بل يأتي لتعظيم أمر أو بيان شأن لذا يعلق **ابن عاشور** قائلا:" استفهام مستعمل في تعظيم الأمر (93)

وقد جاء التكرار في الثانية بطريق الاستفهام وهذا كثر ذكره في القرآن الكريم، بل هذا من الجمال البلاغي أن يأتي التكرار مستفهما، ويعلق **سيد قطب** قائلا:" هذا القسم يتضمن مشهدا كونيا وحقيقة إيمانية. وهو يبدأ بذكر السماء والطارق ويثني بالاستفهام المعهود في التعبير القرآني: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ؟)». وكأنه أمر وراء الإدراك والعلم. ثم يحدده ويبينه بشكله وصورته: "النَّجْمُ الثَّاقِب". (1)

وكقوله - جلَّ وعلا: (كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّين) (وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّين) [المطففين:7-8]

(90)المصدر السابق،270/30.
(91)سيد قطب، في ظلال القرآن, ،3900/6.
(92)الزمخشري، الكشاف،235/7.
(93)ابن عاشور، التحرير والتنوير،230/30.
(1) سيد قطب، في ظلال القرآن،3878/6.

فقد جاء التكرار في هذه الآية في كلمة (سجين)، من باب التحقير والإذلال والإهانة،" وقال الكلبي ومجاهد : سجين صخرة تحت الأرض السابعة"[94] وقال **الرازي**:" واعلم أنه سبحانه لما بين عظم هذا الذنب أتبعه بذكر لواحقه وأحكامه فأولها : قوله : كَلَّا والمفسرون ذكروا فيه وجوها **الأول** : أنه ردع وتنبيه، وتمام الكلام هاهنا الثاني : قال أبو حاتم : كَلَّا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا إِنَّ كِتابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ". و **الثاني** : أنه -تعالى- وصف كتاب الفجار بالخيبة والحقارة على سبيل الاستخفاف بهم". [95]

وكقوله - جلَّ وعلا: (فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ) [البلد:11-12]

فقد جاء التكرار في هذه الآية في كلمة (العقبة)، من باب التوقير والتقدير، وقال **أبو السعود** في تفسيره:" أيْ فَلَمْ يشكرْ تلكَ النعمَ الجليلةَ بالأعمالِ الصالحةِ وعبرَ عنها، بالعقبةِ التي هيَ الطريقُ في الجبل لصعوبة سلوكِها وقوله -تعالى- وَمَا أَدْرَاكَ مَا العقبة" :"أيْ أيُّ شيءٍ أعلمكَ ما اقتحامُ العقبةِ لزيادةِ تقريرِها وكونِها عندَ الله -تعالى- بمكانةٍ رفيعةٍ".

وعليه لم يأت التكرار الاستفهامي كتكرار نحوي لفظي أو جُملي فقط؛ بل منح فائدة لغوية و بلاغية واضحة[96] .

وكقوله - جلَّ وعلا: (الْقَارِعَةُ) (مَا الْقَارِعَةُ) (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ) [القارعة:1-3]

فقد جاء التكرار في هذه الآية في كلمة (القارعة)، من باب التهويل والتخويف، فالقارعة من أسماء يوم القيامة، حيث تقرع القلوب، فلم تأت التكرارات هنا دون بلاغة بل كان التكرار في محلة فيقوم القيامة يوم عصيب وعسير وعظيم.

2- ما يكون التكرار لفظيًّا:

كقوله - جلَّ وعلا: (كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) [الفجر:21]

فقد جاء التكرار في هذه الآية في كلمة (دكا)، من باب التعظيم، وتعرب كلمة دكا الأولى مفعول مطلق منصوب أما الثانية فهي توكيد لفظي منصوب بالفتحة، ويقول **قاسم دعاس** في كتابه (إعراب القرآن):" (كَلَّا) حرف ردع وزجر (إذا) ظرفية شرطية غير جازمة (دُكَّتِ) ماض مبني للمجهول (الْأَرْضُ) نائب فاعل والجملة في محل جر بالإضافة (دَكًّا) مفعول مطلق (دَكًّا) مفعول مطلق توكيد لما قبله"[97]

وقال **الزمخشري** في كشافه:" كَلَّا ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم. ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرّطوا فيه حين لا تنفع الحسرة، ويومئذ بدل من إذا دُكَّتِ الْأَرْضُ وعامل النصب فيهما يتذكر دَكًّا دَكًّا بعد دك. كقوله: حسبته بابا بابا، أى: كرّر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا." [98]

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) [الفجر:22]

فقد جاء التكرار في هذه الآية في كلمة (صفا)، من باب التكثير والتأكيد، والإعراب كالتالي:" وَجاءَ رَبُّكَ) ماض وفاعله والجملة معطوفة على قبلها (وَالْمَلَكُ) معطوف على ربك (صَفًّا صَفًّا) حالان". [99]

وكقوله - جلَّ وعلا: (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا) [الطارق:15]

فقد جاء التكرار في هذه الآية في كلمة (كيدا)، من باب التعجب والدهشة، لذا يقول **ابن عاشور**:" استئناف بياني ينبئ عن سؤال سائل يعجب من إعراضهم عن القرآن مع أنه قول فصل ويعجب من معاذيرهم الباطلة مثل قولهم: هو هزل أو هذيان، فبين للسامع أن عملهم ذلك كيد مقصود.

---

[94] فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب،86/31.
[95] المصدر نفسه.
[96] أبو السعود، تفسير أبي السعود،162/9،161.
[97] قاسم حميدان دعاس، إعراب القرآن الكريم،446/3.
[98] الزمخشري، الكشاف،751/4.
[99] قاسم حميدان دعاس، إعراب القرآن الكريم،446/3.

فهم يتظاهرون بأنهم ما يصرفهم عن التصديق بالقرآن إلا ما تحققوه من عدم صدقه، وهو إنما يصرفهم عن الإيمان به الحفاظ على سيادتهم فيضللون عامتهم بتلك التعللات الملفقة. والتأكيد ب (إن) لتحقيق هذا الخبر لغرابته". [100]

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَأَكِيدُ كَيْدًا) [الطارق:16]

فقد جاء التكرار في هذه الآية في كلمة (كيدا)، من باب لفت الانتباه وإتمام المعنى، والمقصود عند **أبي السعود:**" أي أقابلُهم بكيدٍ متينٍ لا يمكنُ ردُّه حيثُ أستدرجُهم من حيثُ لا يعلمونَ". [101] ويضيف في موضع آخر قائلا:" تتميم وإدماج وإنذار لهم حين يسمعونه". [102]

3- ما يكون التكرار جملا.

وكقوله - جلَّ وعلا: (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ)(فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ)(ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ)[المدثر:18-2]

فقد جاء التكرار في هذه الآية في كلمة (قدر)، من باب الدهشة والاستنكار، ويؤكد ذلك ما قال **سيد قطب** في ظلاله :" (فَقُتِلَ!) واستنكار كله استهزاء (كَيْفَ قَدَّرَ؟) ثم تكرار الدعوة والاستنكار لزيادة الإيحاء بالتكرار. ولقطة وهو ينظر هكذا وهكذا في جد مصطنع متكلف يوحي بالسخرية منه والاستهزاء"[103]

وعليه؛ فلم تكن الجملة التكرارية هي جملة نحوية للتكرار فقط دون شمائل بلاغية، فقد جاء التكرار ليمعن في التأكيد على الدهشة والاستغراب، ويشبع ذلك ما قال **الزمخشري:**" تعجيب من تقديره وإصابته فيه المخز. ورميه الغرض الذي كان تنتحيه قريش. أو ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به. أو هي حكاية لما كرروه من قولهم. قتل كيف قدّر تهكما بهم وبإعجابهم بتقديره، واستعظامهم لقوله"[104]

4- ما يكون التكرار منفصلا.

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) [المرسلات:24]

فقد جاء التكرار في هذه الآية في الجملة (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) ذاتها، وذلك من باب التعظيم ولفت الانتباه، وقد كررت الآية غير مرة في السورة ذاتها، لما لتكرار هذه الجملة القرآنية من وقع على النفس البشرية، سيما على المكذبين، فتخيل تكرار كلمة (ويل) وهو وادي في جهنم، وتكرار كلمة يومئذ وهو يوم القيامة، حيث يوم تبيض فيه وجوه وتسود فيه وجوه، وتكرار كلمة المكذبين، وهي على وزن المفعلين وهي من المبالغة بمكان، ثم تكرار الجملة متحدة كما هي غير مرة أصعب وأشدّ. لذا يقول **الرازي:**" اعْلَمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذِهِ الصُّورَةِ تَخْوِيفُ الْكُفَّارِ وَتَحْذِيرُهُمْ عَنِ الْكُفْرِ. **فَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ مِنَ التَّخْوِيفِ:** أَنَّهُ أَقْسَمَ عَلَى أَنَّ الْيَوْمَ الَّذِي يُوعَدُونَ بِهِ، وَهُوَ يَوْمُ الْفَصْلِ وَاقِعٌ ثُمَّ هَوَّلَ فَقَالَ: وَما أَدْراكَ ما يَوْمُ الْفَصْلِ" ثُمَّ زَادَ فِي التَّهْوِيلِ فَقَالَ: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ". **وَالنَّوْعُ الثَّانِي مِنَ التَّخْوِيفِ:** وَهُوَ أَنَّهُ أَهْلَكَ الْكَفَرَةَ الْمُتَقَدِّمِينَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، فَإِذَا كَانَ الْكُفْرُ حَاصِلًا فِي هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ، فَلَا بُدَّ وَأَنْ يُهْلِكَهُمْ أَيْضًا. "[105]

5- ما يكون التكرار قسما:

وكقوله - جلَّ وعلا: (لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) : (وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) [القيامة:1-2]

فقد جاء التكرار في هذه الآية في كلمة (لاَ أُقْسِمُ)، من باب التوكيد والتعظيم بالقسم، وقال **أبو السعود** في تفسير الآية هنا:" إدخالُ لاَ النافيةِ عَلى فعلِ القسمِ شائعٌ وفائدتُها توكيدُ القسمِ قالُوا إنَّها صلةٌ مِثلُها في قولِه -تعالى- لّئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الكتابِ وقيلَ هيَ للنفي لكنْ لا لنفي نفسِ الأقسامِ بل النفي ما ينبىءُ هُو عنْهُ منْ إعظامِ المقسمِ بهِ وتفخيمِه كأنَّ مَعْنى لا أقسم بكذا لا أعظمه بإقسامِي بهِ حَقَّ إعظامِه فإنَّه حقيقٌ بأكثرَ منْ ذلكَ وأكثرَ". [106]

وعليه؛ لم يكن الأسلوب القسمي هذا مجرد تركيب نحوي مكون من لا النافية وفعل القسم كما الأسلوب العربي؛ بل تعدى ذلك إلى اللطائف البلاغية الجميلة، والمتمثلة في التوكيد ولفت الانتباه والتعظيم.

---

[100] ابن عاشور، التحرير والتنوير،238/30.
[101] أبو السعود، تفسير أبي السعود،142/9.
[102] ابن عاشور، التحرير والتنوير،238/30.
[103] سيد قطب، في ظلال القرآن،3757/6.
[104] الزمخشري، الكشاف،649/4.
[105] فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب،770/30.
[106] أبو السعود، تفسير أبي السعود،64/9.

6- ما يكون التكرار منفيا:

كقوله - جلَّ وعلا: (كَلاَّ سَيَعْلَمُون) (ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُون) [النبأ:4- 5]

فالتكرار في الجملة(كَلاَّ سَيَعْلَمُون) من باب الوعيد والتهديد، ويقول **ابن عاشور**:"(كَلَّا) حرف ردع وإبطال لشيء يسبقه غالبا في الكلام يقتضي ردع المنسوب إليه وإبطال ما نسب إليه، وهو هنا ردع للذين يتساءلون عن النبأ العظيم على ما يحتمله التساؤل من المعاني المتقدمة، وإبطال لما تضمنته جملة (يَتَسَاءَلُونَ) من تساؤل معلوم للسامعين." . (107) ويضيف في موضع آخر قائلا:" ومن محاسن هذا الأسلوب في الوعيد أن فيه إيهاما بأنهم سيعلمون جواب سؤالهم الذي أرادوا به الإحالة والتهكم، وصوروه في صورة طلب الجواب فهذا الجواب من باب قول الناس: الجواب ما ترى لا ما تسمع." . (108)

وكقوله - جلَّ وعلا: (لِيَوْمِ الْفَصْل) (وما أدراك لِيَوْمِ الْفَصْل) [المرسلات:13-14]

فقد جاء التكرار في هذه الآية في جملة (لِيَوْمِ الْفَصْل)، من باب التهويل والتهديد، فيوم القيامة يوم يفصل الله بين العباد في الحقوق فمنهم من يدخل الجنة ومن من يدخل النار والعياذ بالله، لذا سمي هذا اليوم بيوم الفصل.

الأسلوبية الإحصائية

#	العناوين	المجموع
-1	عدد السور المذكورة	**56** سورة
-2	عدد الآيات المذكورة	105 آية
-3	عدد الفنون المذكورة	8 فنون
-4	أكثر فنون المعاني ذكرا	الاستفهام 30 مرة
-5	أقل فنون المعاني ذكرا	الإيجاز 3 مرات

جدول إحصائي تفصيلي لأساليب علم المعاني في الربع الأخير من القرآن الكريم

(107)ابن عاشور، التحرير والتنوير،11/30.
(108) المصدر نفسه.

#	العناوين	السور ذات الصلة
-	علم المعاني (8 فنون)	105 آية
1-	الخبر	20
2-	الاستفهام	30
3-	الأمر	14
4-	الإطناب	6
5-	الإيجاز	3
6-	التقديم والتأخير	12
7-	النهي	9
8-	التكرار	11
المجموع	8 فنون	105

بعد دراسة تأملية توصل الباحثان إلى التالي:

- أن أسلوب الاستفهام أكثر الأساليب البلاغية ذكرا في علم المعاني وهذا يؤدي بنا إلى القول: إن الاستفهام في القرآن الكريم جاء بغية إخراج أغراض بلاغية، كما أنه كثر الغرض البلاغي التوبيخ والانكار والتعجب وغير ذلك.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن الأثير الموصلي، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم .(1995) .*المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر* (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد). بيروت: المكتبة العصرية.

آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز .(1987) .*القاموس المحيط* (ط 2، تحقيق: مكتبة تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة). بيروت: مؤسسة الرسالة، دار الريان للتراث.

إبراهيم، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم. (د.ت) .*الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز* (ط 1). بيروت: المكتبة العنصرية.

ابن أبي الإصبع المصري العدواني، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر. (د.ت) .*تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن* (تحقيق: حفني محمد شرف). الجمهورية العربية المتحدة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

ابن حجة الحموي الأزراري، تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله .(1987) .*خزانة الأدب وغاية الأرب* (تحقيق: عصام شعيتو، ط 1). بيروت: دار ومكتبة الهلال.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر .(2000) .*التحرير والتنوير* (ج 30، ط 1). بيروت، لبنان: مؤسسة التاريخ العربي.

ابن عباد، إسماعيل .(1994) .*المحيط في اللغة (كافي الكفاة الصاحب)* (ج 2، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، ط 1). بيروت: عالم الكتب.

ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب .(2001) .*المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز* (ج 7، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط 1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

ابن عقيل الهمذاني، بهاء الدين عبد الله العقيلي المصري **.(1985)** *شرح ابن عقيل*. (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط 2). دمشق: دار الفكر.

ابن منظور الإفريقي المصري، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم **.(1990)** *لسان العرب*. (ج 15، ط 1). بيروت: دار الفكر، دار صادر.

أبو زهرة، محمد **.(1998)** *المعجزة الكبرى: القرآن* (نزوله، كتابته، جمعه، إعجازه، جدله، علومه، تفسيره). مصر: مطبعة المدني، المؤسسة السعودية.

أبو موسى، محمد محمد. (د.ت) *البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية*. القاهرة: مكتبة وهبة.

الأشتر، عبد الكريم **.(1983)** *شعر دعبل بن علي الخزاعي* (ط 2). دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية.

الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. (د.ت) *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني* (تحقيق: علي عبد الباري عطية). بيروت: دار الكتب العلمية.

الأنصاري، حسان بن ثابت. (د.ت) *ديوان حسان بن ثابت*. مصر: مطبعة السعادة.

بسج، أحمد حسن **.(1995)** *ديوان ذي الرمة* (ط 1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

التبريزي، الخطيب **.(1994)** *شرح ديوان أبي تمام* (ج 2، ط 2). بيروت: دار الكتاب العربي.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر **.(1968)** *البيان والتبيين* (تحقيق: فوزي عطوي، ط 1). بيروت: دار صعب.

جرادة، عز الدين صلاح **.(1998)** *الجامع في الإعراب* (ط 1). فلسطين: دار آفاق، دار المستقبل.

الجرجاني، عبد القاهر. (د.ت) *دلائل الإعجاز* (تعليق: محمود محمد شاكر). د.ن.

الجرجاني، الرمّاني، والخطّابي، وعبد القاهر الجرجاني. (د.ت) *ثلاث وسائل في إعجاز القرآن* (تحقيق: محمد خلف الله أحمد وآخرون، ط 3). مصر: دار المعارف.

درويش، محيي الدين **.(1992)** *إعراب القرآن الكريم وبيانه* (ج 10، ط 3). بيروت: اليمامة، ودمشق: دار ابن كثير.

دعاس، قاسم حميدان. (1415هـ) *إعراب القرآن الكريم* (ج 3). دمشق: دار المنير، دار الفارابي.

الذبياني، النابغة **.(1911)** *ديوان النابغة الذبياني*. مصر: مطبعة الهلال.

الرازي، محمد بن عمر (فخر الدين). (د.ت) *مفاتيح الغيب* (ج 32). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الزبيدي، محمد مرتضى. (د.ت) *تاج العروس من جواهر القاموس*. بيروت: دار مكتبة الحياة.

زغلول، حمزة الدرمرداش. (د.ت) *نشأة الفنون البلاغية*. د.ن.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر **.(2009)** *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل* (ج 4، ط 3). بيروت، لبنان: دار المعرفة.